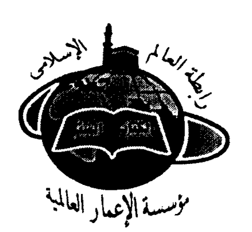
سلسلة : من قصص القرآن (٥)

قصة
نبي الله موسى والخضر

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي



رقم الإيداع
٢٠٠٤/١٠٩٠٨

الناشر



رابطة العالم الإسلامي
مؤسسة الإعمار العالمية
لتنمية الإنسان
مكتب الرياض

ص . ب ٦٨٢٧٥
هاتف: ٤٨٣٣٣٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلامضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فيقول الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ويقول سبحانه: ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ [ق: ١٥].

ويقول سبحانه: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص: ٢٩].

ويقول جل ذِكره: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ٢٤].

فانطلاقًا من هذا:

ولما يُحدثه القصصُ القرآني - بإذن الله - من عِبر وعظات في قلوب أولي الألباب كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

ولما تحمله تلك القصص من جميل المعاني التي يثبت الله بها الفؤاد كما قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

ولكون ذِكر مصاب الآخرين يهوِّن على الشخص مصابه، ويُذهب عنه همومه وأحزانه، ويحمله على الصبر كما صبروا، إذ الله قال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وكذا ذِكر عبادة العابدين، وزهد الزاهدين، وصلاح

الصالحين ودُعاء الداعين، وجهاد المجاهدين ، وصبر الصابرين ، وورع الورعين ، كلٌّ ذلك يحمل على التأسي بهم والسير على طريقهم وسلوك سبيلهم ومن ثمَّ قال تعالى : ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: ٤١].

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم: ٥١].

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم: ٥٤].

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ [مريم: ٥٦].

وأيضًا فقد قال تعالى : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ . . .﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

فلهذا كلِّه ولغيره كذلك نتناول القصص القرآني - قصة بعد قصةٍ بالشرح والتفسير، والتأويل والبيان، فقصص الكتاب العزيز أحسن القصص، وأجمل القصص وأصح القصص وأصدق القصص: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]!!!

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٨٢]؟!!

يجد فيها المُبتلى ما يُصبِّره ويسلِّيه، إذ له أسوة في الأنبياء والمرسلين وأهل الصلاح!

يجد فيها المتَّهم البريء ما يُسري عنه فقد اتُّهم من هو خيرٌ منه، اتُّهم الصديق يوسف، والصديقة مريم، وأم المؤمنين - الصديقة بنت الصديق - عائشة رضي الله عنها واتُّهم الكليم موسى عليه السلام.

وكلٌّ قد برأه الله عزَّ وجل ، وكانت العاقبة للتقوىٰ .

يجد فيها المُعافىٰ ما يحمله علىٰ شكر الله علىٰ نعمائه وحمده علىٰ واسع عطائه وجميل ستره وسوابغ نعمه .

فحقيقة إن الكلام يطول والحديث لا ينقطع ، والنفوس لا تملُّ بذكر ما في القصص القرآني من عبرٍ وفوائد ولضيق المقام ههنا ، ولصغر حجم الرسالة نجتزئ بما ذكرنا ، ونعود فنذكِّر ، إن ما ذكرته قد حملني علىٰ تناول قصص القرآن قصة بعد قصةٍ وقد قدمنا من ذلك قصصًا منها : فصة ابني آدم وقصة نبي الله يونس عليه السلام . وقصة أصحاب الجنة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧]، وقصة نبي الله داود عليه السلام .

وها هي قصة نبي الله الكليم الكريم المُرسَل موسىٰ عليه السلام مع الخضر عليه السلام نتناولها بالشرح والتفصيل ، ونستل منها العبر والفوائد ! !

ونتأدب بما فيها من الأدب الجميل ! !

نأخذ منها زادًا يحملنا على الإيمان بالقدر والرضا به ! !
نقف أمام أحداثها وقفة المقرِّ لله بالعلم ، المقرِّ لله بالقدرة الشاهد لله بأنه حكيم !

فأمورٌ تجري وأحداثٌ تحدث ، ونظرنا نحن البشر قاصرٌ ، فالله يعلم ونحن لا نعلم ! !

قد نَكْرَهُ الشيء وفيه كل الخير لنا ، وقد نحب شيئًا وهو شرٌّ لنا ، قد نضحك ونبتسم لشيءٍ ، وفيه مضرةٌ لنا !

وقد نبكي ونَدْمع من أمرٍ وفيه كل الخير !

فسبحان الله العليم ، سبحان الله الحكيم ، وسبحان الذي خلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا .

أما عن نبي الله الكليم الكريم موسى عليه السلام ، فقد أشبهت سيرتُه - في كثير من مراحلها سيرة نبينا محمد ﷺ - وللحديث عن ذلك وقتٌ آخر ومقام آخر هو أوسع إن شاء الله .

وقد حدثت لهذا النبي الكريم أحداثٌ وجرت له أمورٌ ،

منها هذا الحدث، وذلك الأمر، أمرُ ذهابِهِ إلىٰ الخضر عليه السلام ولقائه به وما استُفيد من وراءِ ذلك من الفوائد، فنتناول تلك القصة المباركة ـ قصة نبي الله موسىٰ عليه السلام مع الخضر ـ مستعينين بالله سائلين الله أن يحشرنا وإخواننا القُراء مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فهذا ذِكر القصة المباركة مع شيءٍ من البيان والإيضاح والفوائد، وبالله التوفيق.

وأنبه علىٰ أن ما أورده إنما هو بتصرفٍ شيئًا ما في العبارات والأسلوب وأصله مستلٌّ من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسول الله ﷺ مع ضم الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك بعضها إلىٰ بعض.

ثم ذِكرُ بعض أقوال السلف الصالح يرحمهم الله، وكذا بعض أقوال المفسرين رحمهم الله.

وإن شاء الله نصدر القصة بالآيات الواردة فيها ثم بعد

سرد ما سنسرده إن شاء الله نختم بذكر الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ في ذلك .

فإلى القصة وما فيها، وبالله التوفيق، ومنه نستمد العون والسداد .

وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلبايه

مصر - الدقهلية - منية سمنود

قصة نبي الله موسى عليه السلام
مع الخضر عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ

عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٖ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾
۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءِۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ

أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ
عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

معاني مفردات السورة الكريمة:

الكلمة	معناهـا
﴿ لِفَتَاهُ ﴾	لخادمه.
﴿ لا أَبْرَحُ ﴾	لا أزال أسير وأمشي - سأستمر في المشي - لا أنتهي.
﴿ أَبْلُغَ ﴾	أصل.
﴿ مجمع الْبَحْرَيْنِ ﴾	مكان التقاء البحرين (قيل هما بحر فارس والروم، وقيل غير ذلك).
﴿ حُقُبًا ﴾	الحقب مدةٌ زمنية طويلة (قيل إنها ثمانون سنة وقيل غير ذلك)، ومنه قوله تعالى: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ [النبأ: ٢٣].
﴿ حُوتَهُمَا ﴾	الحوت هنا السمكة الكبيرة.
﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ﴾	شق طريقه.
﴿ سَرَبًا ﴾	يعني: متسربًا إلى البحر - مسلكًا

الكلمة	معناها
	ومذهبا يسرب إليه ويمضي فيه، ومنه قولهم انسرب فلان السرب المسلك والمذهب
﴿ جَاوَزَا ﴾	تجاوزا المكان
﴿ آتنَا ﴾	أحضر إلينا - قرِّب إلينا .
﴿ غَدَاءَنَا ﴾	طعام الغداء .
﴿ نَصَبًا ﴾	تعبًا ومشقة - عناءً .
﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾	أتذكر الوقت الذي كنا قد استرحنا فيه عند الصخرة .
﴿ عَجَبًا ﴾	كان أمره عجيبًا - بطريقة أحدثت عجبًا .
﴿ نَبْغِ ﴾	نطلب ونلتمس (لأن الله أخبره أنه سيجد الخضر في المكان الذي يُفقد عنده الحوت) .

الكلمة	معناهـــا
﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	رجعا يتتبعان آثار الأقدام - يقصان الآثار .
﴿ آتَيْنَاهُ ﴾	رزقناه وأعطيناه .
﴿ رَحْمَةً ﴾	قيل هي النبوة ، وقيل النعمة ، وقيل إنها رقةٌ على مَن يستحقها .
﴿ لَدُنَّا ﴾	عندنا .
﴿ أَتَّبِعُكَ ﴾	أصحبك وأُرافقك .
﴿ رُشْدًا ﴾	علمًا ذا رشدٍ - أسترشد به في دنياي وأُخراي .
﴿ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾	لن تستطيع الصبر على ما تراه مني .
﴿ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾	ما لم تطلع على بواطنه - ما لم تعلم أسراره وحقائقه .
﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ	سأصبر إن شاء الله ، وستراني صابرًا .

الكلمة	معناها
اللَّهُ صَابِرًا ﴾	
﴿ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾	حتى أكلمك أنا فيه وأُبيّنه لك - حتى أُخبرك بأخباره .
﴿ لَقَدْ جِئْتَ ﴾	لقد فعلت .
﴿ شَيْئًا إِمْرًا ﴾	شيئًا عظيمًا (من المنكر) .
﴿ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾	لا تُعسِّر عليَّ أمر صحبتك ومتابعتك وتجعلها شاقةً عليَّ .
﴿ زَكِيَّةً ﴾	طاهرةً لا ذنب لها ، لم تفعل ذنبًا تستوجب قتلها .
﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾	بغير قصاص بنفسٍ قُتلت .
﴿ نُكْرًا ﴾	عظيمًا - منكرًا .
﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾	قد أعذرت إليَّ - فلك عذر في مفارقتي يعني قد أخبرتني أنني لن أستطيع معك صبرًا ، وتأكد لديَّ ولديك هذا .

الكلمة	معناها
﴿ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾	طلبا الطعام من أهلها .
﴿ فَأَبَوْا ﴾	فرفضوا - فامتنعوا .
﴿ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾	يقدموا لهما حق الضيف - يستضيفوهما إلى بيوتهما .
﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾	يوشك أن يسقط وينهدم .
﴿ فَأَقَامَهُ ﴾	فردَّه إلى حال الاستقامة - فأصلحه .
﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾	هذا الوقت فيه فراق بيني وبينك .
﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾	سأُخبرك .
﴿ بِتَأْوِيلِ ﴾	بتفسير - بيان مآل ما صنعته وعاقبته .
﴿ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾	ينقلون الركاب من شاطئ إلى شاطئ وكذا البضائع وأيضًا يصطادون ، وكل ما من

الكلمة	معناها
	شأنه أن يكون في البحر من الأعمال .
﴿ أَعِيبَهَا ﴾	أجعل فيها عيبًا ـ أخرقها .
﴿ غَصْبًا ﴾	اغتصابًا بغير حق وبغير ثمن .
﴿ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾	يُنزل بهما طغيانه وكفره ـ يحملهما حبُّه على فعل ما يريده من الكفر والظلم والدخول في دينه ـ يُدافعان عنه بالباطل .
﴿ زَكَاةً ﴾	طُهرًا من الكفر والمعاصي ـ صلاحًا ودينًا .
﴿ أَقْرَبَ رُحْمًا ﴾	أكثر رحمةً وبرًّا بوالديه ـ أقرب خيراً .
﴿ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾	يُدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما .
﴿ عَنْ أَمْرِي ﴾	عن اجتهادي واختياري (بل أنا عبد مأمور) .
﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ ﴾	ذلك مآل وعاقبة (تلك الأمور التي

الكلمة	معناها
	ظهرت مني) .
﴿ تَسْطِع ﴾	تستطيع ، قال بعض العلماء : (تستطيع أشد من تسطع) فكانت الأمور أولاً غامضة أشد الغموض ثم أُظهرت بعد) .

وهذا تفصيل للقصة وبيان لها، والله المستعان:

قام نبي الله موسى بن عمران عليه السلام [1] ذات يوم خطيبًا يخطب في قومه بني إسرائيل ويُذكرهم بنعم الله عليهم، وبما كانوا فيه من بلاء.

فقد كانوا في بلاء شديد، كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم، ثم منَّ الله عليهم بنعم عظيمة ومنن جسيمة، وكانت الخطبة بليغةً مؤثرةً فأبكى قومه وذرفت منهم الدموع ووجلت منهم القلوب ثم انصرف فتبعه رجل فأدركه فقال: أي رسولَ اللَّه هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال لا، وفي بعض الروايات أنه سئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، وفي رواية أنه قال ما أعلم في الأرض رجلاً خيرًا أو أعلم مني، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه.

---

(١) وهناك قول ضعيف جدًا مفاده أن موسى صاحب الخضر ليس بموسى بني إسرائيل، وهذا القول خطأ من قائله، وقد كذبه ابن عباس رضي الله عنهما، وسيأتي في آخر الرسالة إن شاء الله.

نعم ينبغي أن نرد العلم إلى الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى لملائكته ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فينبغي دومًا أن نرد العلم إلى الله سبحانه وتعالى وأن نَكِلَ العلم إليه.

فلما قال نبيُّ الله موسى ما قال أوحى الله إليه إني أعلم بالخير منك أو عند من هو الخير، إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك!!

لقد أوحى الله إلى موسى أنَّ عبدًا من عبادي بمكان يُقال له مجمع البحرين، عنده يلتقي البحران هو أعلم منك يا موسى.

فماذا قال موسى عليه السلام؟! وهو نبي كريم حريصٌ على الخير يطلب دومًا الاستزادة من العلم والاستفادة من

أهل الصلاح والفضل واللقاء بهم!!. ماذا قال هذا النبي الكريم لما علم أن هناك من هو أعلم منه؟! لقد سأل ربه قائلاً يا رب فدُلَّني عليه لقد سأل ربه فقال أي رب كيف لي به، أي ربِ اجعل لي علمًا أعلم ذلك منه.

الشاهد أنه سأل ربه عن كيفية الوصول إلى هذا العبد الصالح الذي أخبر عنه ربه سبحانه وتعالى، وقال لموسى هو أعلم منك وسأل موسى ربه عن علامة لهذا المكان يعرفه بها، فلم يكن موسى عليه السلام يُتقن مكان الخضر، فجعل الله سبحانه وتعالى له علامة يعرف بها هذا المكان، فقيل له احمل حُوتا - أي سمكةً كبيرة - في مِكتل، وهو القفةُ أو الزنبيل، وهذا الحوت الذي تحمله حوتٌ مُملح ففي المكان الذي تفقد فيه الحوت ستجد هذا العبد العالم هنالك.

فكان حملُ الحوتِ إذن لغرضين:

الغرض الأول: بيان مكان العبد الصالح (الذي هو الخضر).

والغـرض الثـاني: أن يأكل مـوسىٰ عليه السـلام من الحوت هو وخادمه.

فيؤخـذ من ذلك مشروعية التـزود للأسفار: بمـا تحتاجه تلك الأسفار من الطعام والشراب والزاد عمومًا، وقـد قـال تعـالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، وقد ورد في سبب نزولها عند البخاري [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف:٦٢] فيه مسألة واحدة وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو ردٌّ علىٰ الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامة والقفار؛ زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل علىٰ الله

---

(١) البخاري (حديث ١٥٢٣)، وقد روي هذا الحديث مرسلاً ورجح البعض إرساله.

الواحد القهار؛ هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد.
وفي «صحيح البخاري»: إن ناسًا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾.

فلهذا الذي قد ذُكر: ﴿قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، قال ذلك موسى لفتاه - كما قد بينا - حرصًا من موسى عليه السلام على لقاء الخضر وعلى الاستزادة من العلم، وأعد لذلك عدته، وأخبر خادمه بوجهته التي يريد أن يذهب إليها، فمثل هذه الأسفار البعيدة ينبغي أن يُخبر بها الرفقاء في السفر حتى يعدوا لذلك عدته كما أخبر نبينا ﷺ أصحابه يوم ذهابه إلى تبوك[١].

---

(١) أخرج البخاري (حديث رقم ٤٤١٨)، ومسلم (حديث ٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك . . . قال: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك=

أما عن فتى موسى: فمن فتى موسى عليه السلام؟؟ وماذا عن فتى موسى عليه السلام؟

إنه يوشع بن نون: النبي الكريم عليه السلام، إنه النبي الوحيد الذي قد حُبست له الشمس حتى فتحت له البلدة، فقد غزا بلدة، وقد أمر بفتحها، وأوشكت الشمس على الغروب قبل أن تفتح البلدة فسأل ربه أن يحبس الشمس فحبست الشمس عن الغروب حتى فتح الله له البلدة وهذا شيء من الوارد في ذلك سيأتي إن شاء الله ذِكر يوشع بن نون عليه السلام في آخر هذا المبحث في حديث أخرجه البخاري [1] مطولاً وفيه: فانطلق (يعني موسى عليه السلام) وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حُوتا في مكتل... فذكر الحديث ومما ورد في شأن يوشع عليه السلام أن الشمس قد حبست له.

= الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حرٍّ شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازةً وعدُوًّا كثيرًا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهُبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد.

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٠)، ومسلم (٢٣٨٠).

فقد أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيحٍ إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال [١] إن الشمس لم تُحبس علىٰ بشرٍ إلا ليوشع ليالي سار إلىٰ بيت المقدس.

قلت (مصطفى): وقصة ذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضع[٣] امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولَمَّا يَبنِ، ولا آخر قد بنى بُنيانًا، ولما يرفع سقفها. ولا آخر قد اشترى غنمًا أو خَلفات[٤]، وهو منتظر ولادها[٥]، قال: فغزا. فأدنى للقرية[٦] حين صلاة العصر. أو قريبًا من ذلك. فقال للشمس: أنت مأمُورة وأنا مأمور. اللهم احبسها عليَّ**

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٥).

(٢) البخاري (حديث ٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) ملك بضع امرأة أي عقد عليها وملك فرجها بذلك العقد.

(٤) الخلفات هي الإبل الحوامل.

(٥) ولادها أي نتاجها.

(٦) أدنى للقرية أي اقترب من فتحها أو اقترب منها.

شيئًا[١] . فحبست عليه حتى فتح الله عليه، قال: فجمَعوا ما غنموا فأقبلت النار[٢]، لتأكله. فأبت أن تطعمه. فقال: فيكم غُلُولٌ[٣] فليبايعني من كل قبيلة رجلٌ فبايعوه فلصقت يد رجل بيده. فقال: فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته فقال: فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة. فقال فيكم الغلول، أنتم غللتم . قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة[٤] من ذهب. قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد[٥]، فأقبلت النار فأكلته. فلم تحلَّ الغنائم لأحد من قبلنا . ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا، فطيبها[٦] لنا» .

(١) المراد، والله أعلم أخِّر غروبها .

(٢) أي نزلت نار من جانب السماء لتأكل الغنيمة، فقد كان هذا في الأمم من قبلنا، قال تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسولٍ حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران: ١٨٣] .

(٣) فيكم غُلول أي فيكم مَن غلَّ، أي من سرق من الغنيمة قبل قسمتها .

(٤) أي: مثل رأس بقرة من ذهب كان بعضهم قد سرقها من الغنيمة ولم يعطها الإمام لتقسم كما تقسم سائر الغنيمة .

(٥) الصعيد: وجه الأرض .

(٦) أي أحلَّها لنا .

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في «فتح الباري» فعرض الحديث عمن حُبست عنهم الشمس.

فالمعتمد أنها لم تحبس إلا ليوشع، ولا يعارضه ما ذكره ابن اسحق في «المبتدا» من طريق يحيىٰ بن عروة بن الزبير عن أبيه: «إن الله لما أمر موسىٰ بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتىٰ كاد الفجر أن يطلع، وكان وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر، فدعا ربه أن يؤخر الطلوع حتىٰ فرغ من أمر يوسف ففعل، لأن الحصر إنما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس فلا ينفىٰ أن يحبس طلوع الفجر لغيره، وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتىٰ قال أبو تمام في قصيدة:

فوالله لا أدري أأحلام نائم

ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

هذا ويؤخذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: ٦٠] أي: لخادمه، **جواز اتخاذ الخدم عند**

الحاجة إليهم، وقد وردت بذلك جملة أدلة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ أي: لخادمه وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] أي: جعل لكم من يخدمكم وقد كان أنس[١] وابن مسعود [٢] يخدمان رسول الله ﷺ وأزواج النبي ﷺ كان لهن خدم وكذا عددٌ من الصحابة والصحابيات، وها هي بعض الأدلة على ذلك أخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تَزَوَّجَني الزُّبَير ومَالَهُ في الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شيء غير ناضح [٤] وغير فرسه فكنت أعلفُ فَرَسَه وأستقي الماء وأخرزُ غَرَبَهُ[٥] وأعْجِن، ولم أكن أحسن

---

(١) أما كون أنس رضي الله عنه كان خادمًا لرسول الله ﷺ فانظر البخاري (١٩٨٢).

(٢) وابن مسعود رضي الله عنه كان صاحب نعلي رسول الله ﷺ (انظر البخاري حديث ٣٧٦١).

(٣) البخاري (حديث ٥٢٢٤) ومسلم (حديث ٢١٨٢).

(٤) الناضح: الجمل الذي يستقى عليه. (٥) غَرَبه تعني دلوه الكبير.

أخبزُ وكان يخبزُ جاراتٌ لي من الأنصار، وكن نِسوةَ صِدقٍ وكنتُ أنقل النَّوىٰ من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ علىٰ رأسي وهي مني علىٰ ثُلثي فرسخ، فجئت يومًا والنوىٰ علىٰ رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار، فدعاني ثم قال: «إخْ إخ» ليحملَني خلفه، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال وذكرتُ الزُّبير وغَيْرتَه وكان أغْيَرَ الناس، فعرفَ رسولُ الله ﷺ أني قد استحييتُ فمضىٰ فجئتُ الزُّبير فقلتُ: لقيني رسول الله ﷺ وعلىٰ رَأْسي النوىٰ ومعه نَفَرٌ من أصْحابه فأناخ لأركَب فاستحييتُ منه وَعَرفْتُ غيرتَك، فقال: والله لَحَمْلُك النوىٰ كان أشَدَّ عليَّ من ركوبكِ معه، قالت: حتىٰ أرْسَل إليَّ أبو بكرٍ بعد ذلك بخادم تكفيني سِياسةَ الفَرَسِ فكأنما أعتقني.

وأخرج البخاري[١] من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعضِ نسائِهِ، فأرسلت إحدىٰ

(١) البخاري (حديث ٥٢٢٥).

أُمهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يَدَ الخادمِ فسقطت الصحفةُ فانْفَلَقَتْ ، فجمعَ النبي ﷺ فِلَقَ الصحفةِ ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفةِ ويقول : «غَارَتْ أُمُّكُم» ثم حَبَسَ الخادمِ حتىٰ أتىٰ بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفةَ الصحيحةَ إلىٰ التي كُسِرَت صحفتُها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرَت فيه .

ولكن إذا لم يكن بالوسع اتخاذ الخادم فهناك ما هو خيرٌ منه أخرج البخاري ومسلم [(١)] من حديث علي رضي الله عنه .

أن فاطمة عليها السلام أتت النبيَّ ﷺ تَشكو إليه ما

(١) البخاري (حديث ٥٣٦١)، ومسلم (ص٢٠٩١) .
تنبيه : ويلزم أن تؤخذ الاحتياطات الشرعية بشأن الخادم رجلاً كان أو امرأة ، فإذا كان الخادم امرأة فلا تستقدم من دولة بدون محرم كما يفعل في كثير من البلدان ولا تسافر بدون محرم داخل الدولة الواحدة أيضاً ، ولا يمكن رجل من الخلوة بها ، إلىٰ غير ذلك من المحظورات التي يجب أن تجتنب .

تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تُصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخْبَرَتْه عائشة، قال: فجاءنا وقد أخَذْنَا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال: «على مَكَانكُما» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدتُ بَرْدَ قدميه على بطني، فقال: **«ألا أدُلُّكما على خير مما سألتما، إذا أخذتُما مضاجعَكُما أو أويتما إلى فراشكما ـ فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمَدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربَعًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم»**.

هَذا وينبغي أن يكون الخادم أمينًا قويًّا صالحًا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ [القصص: ٢٦].

وها هو موسى عليه السلام يستخدم رجلاً صالحًا وهو يوشع بن نون عليه السلام، ولكن لا ندري هل كان يوشع عليه السلام قد رُزق النبوة حينئذٍ أم أنه رزقها بعد ذلك.

ولكن على كل حالٍ فقد كان فتًى صالحًا كريمًا أمينًا عليه السلام.

نرجع فنقول: لقد أفصح موسى عليه السلام لفتاه عن

وجهته التي يريد، فقال: ﴿لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] أي: لا أزال أسير، ولن أقطع المسير، ولن أقلع عنه وإن استمر المسير سنوات طوال حتى أبلغ ملتقى البحرين ملتقى بحر فارس والروم، وقيل: بحرين آخرين فالله أعلم بالصواب.

وقد علمنا - بتعليم ربنا لنا - أن هذا المكان هو ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠]، مكان يلتقي عنده البحران، وليس بضائرٍ لنا عدم تسمية البحرين فالعبرة حاصلة وكائنة.

وهذا الذي عزم عليه هذا النبي الكريم وأخبر به فتاه: **دليلٌ واضحٌ على فضل العلم ولقاء العلماء والصالحين، ودليلٌ على الحرص على طلب العلم،** وقد فهم سلفنا الصالح رحمهم الله ذلك ويكفي أن أسوق من ذلك حرص الحبر الكريم عبد الله بن عباس على ذلك فقد صح عنه أنه قال[1]: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قلت لرجل من الأنصار: يا فلان

(١) الدارمي (١/ ١٤١-١٤٢).

هلم فلنسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا بن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ترى؟؟!

فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[١]، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح علي وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: كان هذا الفتى أعقل مني ولهذا أثنى عليه صحابة رسول الله ﷺ ووقَّروه وفي «الصحيح»[٢] أن ابن عباس قال لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين[٣] قال الله فيهما: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ**

(١) يعني في القيلولة.
(٢) البخاري (حديث ٥١٩١).
(٣) البخاري (حديث ٤٩٧٠).

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: ٤] فقد كان عمر رضي الله عنه يُدخله مع أشياخ بدر .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس[١] وقال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجلٌ[٢] .

أرجع فأقول، وبالله التوفيق .

لقد انطلق نبي الله موسى عليه السلام مع فتاه يوشع بن نون، وقد حملا معهما الحوت المملح الميت ووضعاه في مكتل (أي زنبيل) كما أُمر موسى عليه السلام بذلك وقال موسى لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال: ما كلفت كثيراً فانطلقا حتى أتيا صخرة فوضعا رءوسهما فناما .

وعلى ما يبدو من مجموع الروايات أن الفتى استيقظ ورقد نبي الله موسى عليه السلام فرأى الفتى أمرًا عجيبًا

(١) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٩) .
(٢) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢٢٦٨) .

حدث للحوت ونبي الله موسى نائم عليه الصلاة والسلام، أما الأمر العجيب الذي رآه الفتى، فهو إحياء الله عزَّ وجل للحوت، لقد رأى الفتى أن الحوت المملح الميت قد أحياه الله فاضطرب في المكتل وتحرك ثم إنه قفز في البحر، وشق طريقه في البحر، فسبحان من أحياه وسبحان من أجراه(١).

---

(١) ذكر بعض أهل العلم ههنا أمرًا ولم أقف له على إسناد ثابت، ألا وهو أن هذه الصخرة كان عندها عين يُقال لها عين الحياة، لا يُصيب ماؤها شيئًا إلا أحياه الله فأصاب شيءٌ من مائها الحوت فأحياه الله.

وكما بينت فلم أقف لهذا على أي دليل صحيح، ولعلها من الإسرائيليات.

وأما عن معتقدنا في إحياء الموتى فالله على كل شيء قدير، وأمرُه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، فهو سبحانه قادر على إحياء الحوت وغير الحوت بماء أو بغير ماءٍ.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»(١):

وفي رواية قتيبة عن سفيان في الباب الذي يليه من الزيادة قال =

---

(١) «فتح» (٨/ ٤١٥).

. . . .

= سفيان وفي غير حديث عمرو وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر، وحكى ابن الجوزي أن في روايته في البخاري «الحيا» بغير هاء قال: وهو ما يحيا به الناس، وهذه الزيادة التي ذكر سفيان أنها في حديث غير عمرو قد أخرجها ابن مردويه من رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان مدرجة في حديث عمرو ولفظه «حتى انتهيا إلى الصخرة فقال موسى عندها - أي نام - قال وكان عند الصخرة عين ماء يقال لها عين الحياة لا يصيب من ذلك الماء ميت إلا عاش. فقطرت من ذلك الماء على الحوت قطرة فعاش، وخرج من المكتل فسقط في البحر، وأظن أن ابن عيينة أخذ ذلك عن قتادة، فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريقه قال: «فأتى على عين في البحر يقال لها عين الحياة، فلما أصاب تلك العين رد الله روح الحوت إليه، وقد أنكر الداودي فيما حكاه ابن التين هذه الزيادة فقال: لا أرى هذا يثبت، فإن كان محفوظًا فهو من خلق الله وقدرته. قال: لكن في دخول الحوت العين دلالة على أنه كان حي قبل دخوله، فلو كان كما في هذا الخبر لم يحتج إلى العين. قال: والله قادر على أن يحييه بغير العين، =

. . . .

= انتهى. قال: ولا يخفى ضعف كلامه دعوى واستدلالاً وكأنه ظن أن الماء الذي دخل فيه الحوت هو ماء العين، وليس كذلك بل الأخبار صريحة في أن العين عند الصخرة وهي غير البحر وكأن الذي أصاب الحوت من الماء كان شيئًا من رشاش، ولعل هذه العين إن ثبت النقل فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد، وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل من الإسرائيليات. وقد صنف أبو جعفر بن المنادي في ذلك كتابًا وقرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائيليات.

قلت (مصطفى): وكما ذكرت من قبل فنعتقد أن الله على كل شيء قدير، وقد ذُكرت صورٌ ونماذج لإحياء الموتى في الدنيا في كتاب الله عزَّ وجل، وهذا من أصول الاستدلالات على البعث في كتاب الله عزَّ وجل، فمن ذلك قتيل بني اسرائيل الذي ورد ذكره في قصة البقرة، فقد قال تعالى ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة: ٧٣].

وورد في نفس السورة قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ [البقرة: ٢٤٣]. =

. . . .

= وورد أيضًا قوله تعالى: ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك ءاية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكذلك ورد في سورة البقرة إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام لما دعاها.

﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وورد أيضًا إحياء المسيح عيسى عليه السلام لبعض الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ [المائدة: ١١٠].

وههنا قد أحيا الله الحوت فكان من أمره ما كان والله على كل شيء قدير، و ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

ثم إن الفتىٰ رأىٰ معجزةً أخرىٰ حدثت، ألا وهي أن الماء لم يلتئم ولم ينضم بعضه علىٰ بعض بعد مسير الحوت فيه، فالمعلوم أن شيئًا ما إذا سار في الماء فإنه يشق الماء، ثم إن الماء يلتئم وينضم بعضه إلىٰ بعض خلف هذا الشيء الذي يسير، ولكن الله سبحانه علىٰ كل شيءٍ قدير، أمسك جرية الماء خلف الحوت فلم ينضم الماء إلىٰ بعضه، فمن العلماء من يقول: إن الماء قد تجمد ويبس المكان الذي سار فيه الحوت ليكون دليلاً وعَلَمًا علىٰ الطريق الذي سلكه الحوت.

كلٌّ هذا قد رآه الفتىٰ، ونبي الله موسىٰ عليه السلام راقدٌ لم يره فلما استيقظ نبي الله موسىٰ عليه السلام عُمِّي عليه[1]، أي: كأن الطريق اختلف عليه ولم يتضح له فانطلق وترك فتاه.

وقد يظهر أيضًا من مجموع الروايات أن الحوت اضطرب مرة في المكتل ونبي الله موسىٰ راقدٌ، والفتىٰ يُشاهد اضطرابه ثم لما انطلق موسىٰ عليه السلام قفز

(١) والرواية بذلك في مسلم وستأتي في آخر القصة إن شاء الله.

الحوت في البحر واضطرب في ماء البحر وشق طريقه أيضًا، فالشاهد من ذلك أن موسى عليه السلام لم يشاهد ذلك، وشاهده الفتى .

فلما انطلق نبي الله موسى وقد عُمِّي عليه، قال الفتى: ألا ألحق نبي الله فأخبره بالذي حدث من أمر الحوت؟!

فانطلق الفتى وأدرك نبي الله موسى عليه السلام، وسبحان الله، لقد نسي الفتى أن يُخبر نبي الله موسى بهذا الحدث العظيم الذي حدث للحوت من إحياء الله له، واضطرابه في المكتل، واضطرابه في البحر وإمساك جرية الماء.

فكم من حدثٍ عظيم ينساه الشخص، وها هو السجين الذي أنجاه الله، وقد كان مع يوسف عليه السلام في السجن، يُعبِّر له يوسف عليه السلام الرؤيا خير تعبير، ويبشره ببشارة فيها نجاته من القتل، إذ قال : ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً...**﴾ [يوسف: ٤١].

ويتحقق التأويل ويخرج السجين من السجن، وقد قال

له يوسف : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] ولكن فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين .

فينسى - بعد إنجاء الله له - البشارة التي بشره بها يوسف عليه السلام ولا يذكر يوسف إلا عند رؤيا الملك إذ قال : ﴿ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ . . . ﴾ [يوسف: ٤٣] .

فسبحان الله ، فكل شيء يجري بقضائه وكل شيءٍ يجري بقدره! فأصحاب العقول لا يملكون عقولهم ، وأصحاب الذاكرة لا يملكون ذاكرتهم ، وأصحاب القلوب لا يملكون قلوبهم ، ولا يكن شيءٌ أبدًا إلا بإذن الله .

لا يتذكر المتذكر إلا إذا ذكره الله ، ولا يعي الواعي إلا بإذن الله ، ولا يطمئن قلب إلا إذا طمأنه الله ولا يسكن إلا إذا سكَّنه الله .

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦] فسبحان الله القدير ، وسبحان الله العليم .

وقد يقول قائل إذن فلماذا قال الفتى : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف : ٦٣] .

فجواب ذلك: أن هذا من باب التأدب مع الله عزَّ وجل في الألفاظ ؛ ولهذا شواهد كثيرة جداً من الكتاب ومن سنة النبي ﷺ .

فها هو الخضر عليه السلام يقول في شأن السفينة : ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف : ٧٩] فنسب عيب السفينة إلى نفسه ، مع أنه صنع ما صنع بالسفينة بأمر الله عزَّ وجل .

وعند ذكر الخير والرحمة يقول : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف : ٨٢] .

ونحو هذا المذكور في قول الجن : ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠] .

فنسبوا الشر إلى من لم يُسمَّ فاعله والرشد إلى الله عز وجل مع أن الكل من عند الله ، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران : ٢٦] مع أن كل شيء من عند الله كما

قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨].

ونحوه قول رسول الله ﷺ: «**والشر ليس إليك**»[١].

وفي الباب أيضًا قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠] مع أن المرض قدَّره الله أيضًا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٢] في الفوائد المستنبطة من هذا الحديث:

وفيه حسن الأدب مع الله، وأن لا يضاف إليه ما يُستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه، لقول الخضر عن السفينة: ﴿**فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾ [الكهف: ٧٩]، وعن الجدار ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ**﴾ [الكهف: ٨٢] ومثل هذا قوله ﷺ: «**والخير بيديك والشر ليس إليك**»[٣].

---

(١) مسلم حديث (٧٧١)، من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) فتح (٨/ ٤٢٢).
(٣) مسلم حديث (٧٧١).

قال القرطبي رحمه الله:

إن قال قائل: كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالىٰ، وقال في خرق السفينة: ﴿**فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾ [الكهف: ٧٩] فأضاف العيب إلىٰ نفسه؟

قيل له: إنما أسند الإرادة في الجدار إلىٰ الله تعالىٰ؛ لأنها في أمر مستأنف في زمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالىٰ، وإن كان الخضر قد أراد ذلك فالذي أعلمه الله تعالىٰ أن يريده. وقيل: لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلىٰ الله تعالىٰ، وأضاف عيب السفينة إلىٰ نفسه رعاية للأدب، لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلىٰ نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٨٠] فأسند الفعل قبل وبعد إلىٰ الله تعالىٰ، وأسند إلىٰ نفسه المرض، إذ هو معنىٰ نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالىٰ من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿**بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾ [آل عمران: ٢٦]، واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع، إذ

هو على كل شيء قدير، وهو بكل شيء خبير.

ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل أنه يقول يوم القيامة: «**يا بن آدم مرضت فلم تعُدني واستطعمتُك فلم تُطعمني واستسقيتك فلم تَسقني**» فإن ذلك تنزُّلٌ في الخطاب، وتلطُّف في العتاب، مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال، وبمقادير ثواب هذه الأعمال. وقد تقدم هذا المعنى. والله تعالى أعلم.

ولله تعالى أن يطلق على نفسه ما يشاء، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة، والأفعال الشريفة، جل وتعالى عن النقائص والآفات علواً كبيراً.

وقال في الغلام: ﴿**فَأَرَدْنَا**﴾ فكأنه أضاف القتل إلى نفسه، والتبديل إلى الله تعالى. والأشد كمال الخَلْق والعقل. وقد مضى الكلام فيه في «الأنعام» والحمد لله.

فعلى الدعاة إلى الله أن يدركوا ذلك وأن يفقهوه، وعلى المسلمين أن يفهموا ذلك ولا يجهلوه، فيُنسب الخير إلى الله عزَّ وجل، والشر، وإن كان من عند الله إذ كلٌّ من عند الله - لكن تأدبًا في اللفظ مع الله ينسب الشر إلى ما كان سببًا فيه.

وإلى القصة نرجع فنقول: إن نبي الله موسى عليه السلام وفتاه انطلقا، وجاوزا الصخرة، وكما بينا فقد نسي الفتى أن يُخبر موسى عليه السلام بالذي كان من أمر الحوت، فسار موسى عليه السلام وفتاه بقية يومهما وليلتهما، فلما جاوزا الصخرة شعر موسى وفتاه بالتعب والنَّصب من طول السفر، ولم يجد موسى عليه السلام النَّصب ولم يشعر بالتعب إلا بعد أن تجاوزا الصخرة، أي: تجاوزا المكان الذي أُمرا بالذهاب إليه فعندما شعر نبي الله موسى عليه السلام بالنَّصَب: ﴿**قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا**﴾ [الكهف: ٦٢] أي: أنه قال لخادمه أحضِرْ إلينا، طعام الغداء فقد تعبنا وأُرهقنا وحلَّ بنا النَّصب (التعب والإرهاق) في هذا السفر.

وهنا قد يقول قائل: لماذا اشتكى نبي الله موسى عليه السلام، وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾؟

فجواب ذلك: أن بثَّ الشكوى أو وصف الحال التي آل

إليه الشخص إذا لم يكن مصحوبًا بالتسخط على أقدار الله عزَّ وجل فلا بأس به، خاصة عند من يُرجى عنده إزالتها بإذن الله سبحانه وتعالى، وقد قالت عائشة رضي الله عنها ذات يوم: وا رأساه[1]! فقال النبي ﷺ: «**بل أنا وا رأساه**».

هذا، ويؤخذ من قوله: ﴿**آتِنَا غَدَاءَنَا**﴾ [الكهف: ٦٢] إثبات وجبة الغداء، وقد ورد في ذكر وجبة الغداء حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «**ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة**»[2].

ففيه إثبات وجبة الغداء، وإن كانت في عهدهم بعد الجمعة فلا مانع أيضًا أن تكون في أي وقت آخر؛ لعموم قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٦٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وا رأساه فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك»، فقالت عائشة: وا ثكلياه! والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرسًا ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بل أنا وا رأساه...» الحديث.

(٢) البخاري (٩٣٩).

وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ولقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** ﴾ [الأعراف: ٣١] وورد أيضًا في إثبات وجبة الإفطار والعشاء أحاديث .

هذا ، ويطيب لي عند قول نبي الله موسى عليه السلام ﴿ **لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴾ [الكهف: ٦٢] أن أُذكِّر نفسي وإخواني بمقولة التابعي الصابر المحتسب عروة بن الزبير ابن العوام رحمه الله تعالى ورضي الله عن والديه ، فقد تلا هذا القدر من الآية الكريمة : ﴿ **لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴾ عند بلاءٍ حلَّ به ، وكم كان صابرًا وكم كان محتسبًا رحمه الله تعالى قال الذهبي في ترجمة (عروة) من «سير أعلام النبلاء» :

هذا وقد أورد الذهبي [1] رحمه الله تعالى في ترجمة عروة بن الزبير من طريق يعقوب الدَّورقي حدثنا عامر بن صالح ، عن هشام بن عُرْوَةَ أن أباه خرج إلى الوليد بن

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٣٠) .

عبـد الملك، حتىٰ إذا كان بوادي القُرَىٰ، وجد في رِجْله شيئًا فظهرت به قرْحة، ثم ترقَّىٰ به الوجع . وقدم علىٰ الوليد وهو في مَحْمِل ، فقال : يا أبا عبد الله، اقطعها . قال : دونك . فدعا له الطبيب، وقال اشرب المُرْقِد ، فلَمْ يفعلْ، فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول حسٍّ ، حَسٍّ؛ فقال الوليد : ما رأيت شيخًا قط أصبرَ من هذا .

وأصيبَ عُرْوة بابنه محمد في ذلك السَّفَر ، ركضَتْهُ بغلةٌ في إصَطْبل ، فلم يُسَمْع منه في ذلك كلمة . فلمَّا كان بوادي القُرىٰ قال : ﴿**لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا**﴾ [الكهف: ٦٢] اللّهمَّ كان لي بنون سبعة، فأخذتَ واحدًا وأبقيت لي ستَّةً ، وكان لي أطرافٌ أربعة، فأخذت طرفًا، وأبقيتَ ثلاثة؛ ولئن ابتليتَ ، لقد عافَيْت ، ولئِنْ أخذت لقد أبَقْيت .

وأورد أيضًا من طريق عامر بن صالح، عن هشام بن عُروة قال : سقط أخي محمد - وأمُّه بنتُ الحكم بن أبي العاص - مِنْ أعلىٰ سطحٍ في إصطبل الوليد، فضربَتْهُ

الدوابُّ بقوائمها فقتلَتْه فأتى عُروةَ رجلٌ يُعزِّيه ، فقال : إن كنتَ تُعزِّيني برجلي فقد احْتَسبتُها . قال : بل أُعَزِّيكَ بمحمد ابنك . قال : وما له؟ فأخبره ، فقال : اللّهُمَّ أخذت عُضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابنًا ، وتركتَ أبناء . فلما قدمَ المدينةَ ، أتاهُ ابن المنكدر ، فقال : كيف كنتَ؟ قال : ﴿ **لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا** ﴾ [الكهف : ٦٢] .

ولنرجع إلى قصة موسى عليه السلام مع الفتى لقد قال له موسى ﴿**آتِنَا غَدَاءَنَا** (١) **لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا**﴾ .

---

(١) في هذا ما يدل على وجود وجبة الغداء ، ولا مانع من أن يفطر الشخص صباحًا ويتغدى ظهرًا ويتعشى مساءً ، فهناك ما يدل على ذلك وليس هذا بطاعنٍ في زهد الشخص كما قد يتوهمه البعض أما الغداء فمن الدليل عليه قول موسى عليه السلام : ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [الكهف : ٦٢] وقول سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : «ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة» أخرجه البخاري (٩٣٩) .
أما العشاء ففي الحديث : «إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدءوا بالعشاء» أخرجه مسلم (٥٥٧) .
وأيضًا قد أرسل أبو بكر أضيافه إلى بيته مع ابنه عبد الرحمن كي =

قال الفتى حينئذ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣] أتذكر يا نبي الله المكان الذي استرحنا فيه، ونمنا فيه عند الصخرة؟، فإني نسيت الحوت هنالك[1]، وقد صدرت

= يُعشيهم انظر البخاري (٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧) أما الإفطار صباحًا فإن النبي ﷺ قد قال: «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحرٌ» أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٢٣٨) ومسلم (١٤/ ٣) وقال تعالى: ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...﴾ [الأعراف: ٣٢].

* ذكرنا ذلك؛ لأن بعض المتزهدة يذمون من أكل وجبات ثلاث في اليوم، ويطعنون فيهم، وينسبون إلى السنة ما ليس منها.

(١) فيه أن النسيان وارد حتى على أهل الصلاح، وهناك أدلة كثيرة أُخر على هذا المعنى، منها:

* قول أهل الإيمان: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ [الكهف: ٧٣].

* قول النبي ﷺ: «من أكل ناسيًا وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه» أخرجه البخاري (٦٦٦٩)

* قول الصحابة لرسول الله ﷺ أقصرت الصلاة أم نسيت؟ أخرجه البخاري (حديث ٦٦٧١).

من الحوت أمورٌ، ونسيت أن أخبرك بأمر هذا الحوت وما صدر منه فقد صدرت هناك أمور عجيبة تعجب لها يا نبي الله، لقد أحياه الله عزَّ وجل فاضطرب في المكتل وقذف بنفسه في البحر واتخذ طريقه في البحر متسربًا فيه فكان أمرًا عجيبًا تعجب منه نبي الله موسى عليه السلام وتعجب منه الفتى.

لقد كان المسير للحوت سربًا ولموسى وفتاه عجبًا!!

قال الفتى **﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾** [الكهف: ٦٣] لقد نسيت هنالك عند الصخرة الحوت يا نبي الله: **﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾** [الكهف: ٦٣] لقد شغلني الشيطان وألهاني وأنساني الحوت وأنساني أن أذكر لك ما حدث منه مع أن أمره كان عجيبًا.

لقد اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا.

لقد شق طريقه في البحر بطريقة عجيبة وأحدثت عجبًا.

لقد أمسك الله جرية الماء، لقد تجمد الماء في الطريق الذي سار فيه الحوت وأصبح ثم جامدًا!!

فماذا قال موسى لفتاه؟ وقد أخبره أنه نسي الحوت والناسي ليس بملوم، فحتى أهل الصلاح يعتريهم النسيان فهذا رسولنا محمد ﷺ يقول: «**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون**»

* لم يُثرب نبي الله موسى عليه السلام على الخادم، بل طمأنه فقال: ﴿**ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ**﴾ [الكهف: ٦٤] أي هذا الذي كنا نريد ونطلب، فتلك حاجتنا، حاجتنا الوصول إلى المكان الي يُفقد فيه الحوت، فلنرجع إليه ثانيةً، هيا فلنرجع إلى الصخرة التي نسينا عندها الحوت فعندها مطلبنا، وعندها مرادنا!

﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ [الكهف: ٦٤] أي فرجع موسى - عليه السلام - وفتاه يتتبعان آثار أقدامهما ويسيران راجعين من حيث أتيا حتى يصلا إلى الصخرة فبلغا الصخرة فعندها وجد المراد، عندها وجدا الخضر عليه السلام: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥].

أي: لما وصلا إلى الصخرة وجدا عبدًا من عباد الله عز وجل، وهو الخضر عليه السلام [١] وجداه مسجًى بثوبٍ.

أي: متغطيًا بثوب مستلقيًا على قفاه فسلَّم عليه موسى عليه السلام قائلاً: السلام عليكم. فكشف الخضر عن ثوبه فرد السلام قائلاً وعليكم السلام، وقال أيضًا مستغربًا متعجبًا: «أنى بأرضك السلام» أي: من أين السلام في هذه الأرض؟! فهذه الأرض وتلك البلاد لا يُعرف فيها السلام إنما لهم تحيات أُخر.

ثم إن الخضر سأل موسى عليه السلام قائلاً: «من أنت؟».

قال: «أنا موسى».

قال: ومن موسى؟ قال: موسى بني إسرائيل؟ فكأن

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٤٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما سُمي الخضر لأنه جلس على فروةٍ بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

والفروة قيل إنها الأرض اليابسة، وقيل إنها الحشيشة اليابسة، وقيل إنها قطعة من أرض بيضاء وليس فيها نبات.

الخضر كررها للتأكيد قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال موسى عليه السلام نعم . قال له الخضر : «مجيءُ ما جاء بك» ؟؟ يعني : من أجل أي شيءٍ جئت قال جئت لتعلمني مما علمت رشداً .

وهذا العبد (الذي هو الخضر عليه السلام) قد رزقه الله رحمة من عنده، قال بعض العلماء إنها النبوة وقال آخرون إنها رقة في القلب قذفها الله في قلبه لمن يستحقها فالخضر كان رقيقًا رحيمًا بمن يستحق الرقة والرحمة(١) وأيضًا قد رزقه الله علمًا واسعًا يتعلق ببعض أمور الغيب، وذاك علمٌ لم يعلمه موسى عليه ﷺ من ثمَّ التمسه موسى عليه السلام وسعى إليه، وحرص عليه، فلما التقى بالخضر ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ [الكهف:٦٦] هل تأذن لي في اتباعك وصحبتك على أن تُعلمني مما علمك الله من العلم النافع

---

(١) وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : «وأهل الجنة ثلاثة . . . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم» أخرجه مسلم (٨٦٥) .

الذي أسترشد به في دنياي وأُخراي[١] ففي هذا تذكيرٌ من موسىٰ عليه السلام للخضر عليه السلام بنعمة الله عليه وذلك من قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ [الكهف: ٦٦] أي: من الذي علمكه الله، فلولا فضل الله عليك ما تعلمت، فكأنه يقول: أنفق من العلم الذي أعطاكه الله عزَّ وجل ولا تبخل عليَّ بتعليمي شيئًا مما رزقك الله وعلمك إياه.

فقال الخضر لموسىٰ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] أي: لن تستطيع أن تصبر علىٰ ما تراه مني من أمور، ثم التمس له العذر بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] أي: كيف تصبر علىٰ أمور تصدر مني لم تطلع أنت علىٰ حقيقتها؟

فمن المعلوم أن من جهل شيئًا استنكره وعاداه.

دلَّ علىٰ ذلك قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

ودلَّ علىٰ ذلك أيضًا أن موسىٰ عليه السلام استنكر علىٰ الخضر أمورًا، يأتي ذكرها بعد ذلك، وذلك الإنكار

---

(١) فموسىٰ عليه السلام يطلب علمًا نافعًا مرشدًا إلىٰ الخير.

من موسى عليه السلام لكونه لم يطلع علي حقيقتها من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

فالتمس الخضر العذر لموسى عليه السلام كما قدمنا، وقال له أيضًا ملتمسًا له عذرًا: «يا موسى إنك على علم من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه»[١].

وحقٌ ما قاله الخضر لموسى عليهما السلام، فالناس تخصصات فهذا يرزقه الله علمًا وفهمًا في باب من الأبواب، وذاك يُرزق العلم والفهم في باب آخر، وهذا يرزق المال، وذاك يرزق الجاه، وذاك يرزق الجمال وذاك يُرزق النسب والشرف.

وها هم أصحاب رسول الله ﷺ، فقد كان منهم العالم بالقراءات كأبي بن كعب رضي الله عنه[٢] والعالم

---

(١) العلم الذي تعلمه الخضر هو اطلاعه على بعض أمور الغيب بإذن الله.
أما الحديث فهو في «الصحيحين» ويأتي من آخر البحث إن شاء الله.

(٢) راجع فضائل المذكورين إن شئت في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

بالقضاء كعلي رضي الله عنه والعالم بالسياسة كعمر رضي الله عنه والعالم بالأنساب كأبي بكر رضي الله عنه والعالم بالفرائض كزيد بن ثابت رضي الله عنه والعالم بالحلال والحرام كمعاذ بن جبل رضي الله عنه والعالم بفنون القتال كخالد رضي الله عنه إلىٰ غير ذلك .

وقد تنوعت مناقبهم وتعددت فضائلهم فمنهم الصديق الذي صحب النبي ﷺ، ومنهم الفاروق الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل ومنهم الحيي الكريم الذي تستحي منه ملائكة الرحمن كعثمان رضي الله عنه، ومنهم الشجاع المغوار كحمزة أسد الله ، وعلي رضي الله عنهما ومنهم أمين الأمة أبو عبيدة رضي الله عنه، وحواريُّ الرسول الله ﷺ كالزبير رضي الله عنه .

والمنفق المحسن المتصدق كعثمان وابن عوف رضي الله عنهما .

وأول من رمىٰ بسهم في سبيل الله سعد رضي الله عنه .

ومنهم من أبوه أُمة ثم هو من أوائل من أسلموا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما .

إلى غير هؤلاء من أصحاب الفضائل والمناقب والكل يثني على الآخر ، ويُجلُّه وينزله منزلته ويعطيه قدره .

وكلٌّ يحيل على الآخر إذا كان أعلم منه في بابٍ من الأبواب وكل يسأل الآخر ويستفيد منه ويتواضع له وكم كان عُمر رضي الله عنه وهو المحُدَّث الملهم أحد العشرة المبشرين بالجنة يتواضع لأُبي بن كعب رضي الله عنه ، وكم كان يثني على ابن مسعود وكم كان يستشير عليًّا ، وكم كان يُجل ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين .

وهكذا دومًا أهل العلم وأولو النهى يتواضعون ويخفضون الجناح لمن يلتمسون منه علمًا ويوقرونه وإن كانوا أفضل منه فموسى عليه السلام أفضل من الخضر عليه السلام .

فموسى من أولي العزم من الرسل آتاه الله التوراة واصطفاه وكلمه تكليمًا ، والخضر دون ذلك ومع ذلك لم

يمتنع موسىٰ من التعلم من الخضر وشدِّ الرحال إليه؛ التماسًا للعلم وبحثًا عنه.

فيؤخذ منه تعلم الفاضل من المفضول إن كان عند المفضول علم ليس عند الفاضل.

وكما قال علماؤنا الأولون يرحمهم الله: (لا ينبل العالم حتىٰ يأخذ ممن فوقه، وممن دونه).

قال القرطبي رحمه الله:

في هذه الآية دليل علىٰ أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسىٰ من الخضر ما يدل علىٰ أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضّله الله، فالخضر إن كان وليًّا فموسىٰ أفضل منه؛ لأنه نبي والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبيًّا فموسىٰ فضله بالرسالة، والله أعلم.

نرجع فنقول: إن موسىٰ عليه السلام أوتي علمًا في جانب، والخضر أوتي علمًا في جانب أخر.

وقد قال الخضر لموسى - كما في الحديث عن رسول الله ﷺ : «**أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك؟ يا موسى إن لي علمًا لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علمًا لا ينبغي لي أن أعلمه**».

ومن ثمَّ فلن يصبر موسى على الخضر، كذا قال له الخضر: ﴿**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ [الكهف: ٦٧] ثم أكد ذلك له بقوله ملتمسًا له العذر: ﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾ [الكهف: ٦٨].

إلا أن نبي الله موسى عليه السلام أصرَّ على الصحبة قائلاً: ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف: ٦٩].

أي: سأصبر إن شاء الله، ولن أعصيك.

* وهنا يُثار تساؤل ألا وهو: **هل الاستثناء (أعني قول موسى عليه السلام إن شاء الله) مختصٌّ بالصبر وحده، أم أنه متعلق بالصبر وعدم عصيان الأمر؟**

* **وكإيضاح لذلك: فقوله: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ**

اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ [الكهف: ٦٩] ففيه فقرتان:

أولاهما: ستجدني صابرًا.

الثانية: لا أعصي لك أمرًا.

فهل قول (إن شاء الله) متعلق بالفقرة الأولى منهما؟

أم أنه متعلقٌ بالفقرتين معًا؟

وفائدة طرح هذا السؤال: بيان أنَّ قول (إن شاء الله) من قائله لا يُلزم بتحقق ما ذكر القائل أنه سيفعله، فقد يقول قائل: سأسافر غدًا إن شاء الله، ولايتحقق له السفر، إذ الله قد شاء أمرًا آخر.

وكجواب على السؤال السابق:

فمن العلماء من قال: إنه مخصص بالصبر وحده، قالوا وقد تحقق فقد صبر موسى عليه السلام. أما قوله: ﴿ وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ [الكهف: ٦٩] فلم يتحقق، فقد نهاه الخضر عن السؤال بقوله: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾ [الكهف: ٧٠] ولكن موسى عليه السلام

خالف في ذلك فقال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] وقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] وقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

قلت (مصطفى): ويرد أيضًا على قول من قال إن الصبر قد تحقق أن النبي ﷺ قال: «**وددنا أن موسى عليه السلام كان صبر فقص الله علينا من خبرهما**».

وهذه بعض أقوال العلماء في هذه المسألة:

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] أي سأصبر بمشيئة الله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] أي: قد ألزمت نفسي طاعتك. وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ أم لا؟ فقيل: يشمله كقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقيل: استثنى في الصبر فصبر، وما استثنى في قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ فاعترض وسأل، قال

علماؤنا: إنما كان ذلك منه؛ لأن الصبر أمر مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفيُ المعصية معزوم عليه حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم عليه. ويمكن أن يفرق بينهما بأن الصبر ليس مكتسبًا لنا بخلاف فعل المعصية وتركه، فإن ذلك كله مكتسب لنا. والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]:

وقوله: ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف: ٦٩].

قيل: استثنى في الصبر فصبر، ولم يستثن في العصيان فعصاه وفيه نظر، وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه والمشي معه وغير ذلك، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع.

وأقول: معلقًا على ما قاله الحافظ رحمه الله تعالى:

إن النبي ﷺ قد قال: «**يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما**».

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤١٨).

ونرجع إلى ذكر موسى والخضر عليهما السلام فأقول، وبالله التوفيق إن موسى عليه السلام لما أصرَّ على صحبة الخضر ووعدوه بالصبر علي ما يلقى منه من أحداثٍ وأمورٍ اشترط الخضر عليه شرطًا فـ ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [الكهف: ٧٠].

أي: لا تسألني عن شيء حتى أكون أنا الذي أُخبرك وأُطلعك على حقيقة ما أصنعه، وعلى حقيقة ما تراه مني.

ويبدو أن نبي الله موسى عليه السلام قد وافق على ما اشترطه عليه الخضر عليه السلام وهذا مفهوم من سياق الآيات الكريمات إذ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**فَانطَلَقَا...**﴾ وهذا مفاده أن نبي الله موسى عليه السلام قد وافق على الشرط.

وفي صريح الحديث عن رسول الله ﷺ أن موسى عليه السلام «**قال: نعم**» لما اشترط عليه الخضر ما اشترط.

انطلق موسى عليه السلام مع الخضر متعلمًا متواضعًا

مسترشداً صلوات الله وسلامه عليه

وإلى هنا قد انقطع ذكر فتى موسى عليه السلام من القصة المباركة، فإلى أين ذهب، هل كان معهما؟؟ أم أنه رجع؟؟[1] علم ذلك موكول إلى الله تعالى، فالله أعلى وأعلم.

* أما موسى والخضر عليهما السلام فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينةٌ فكلَّما أصحابها أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير أجرٍ، فلما ركبا السفينة رأيا عصفوراً قد جاء فوقف على حرف السفينة فنقر بمنقاره نقرة في البحر فقال الخضر لموسى عليهما السلام، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر.

ثم إن الخضر عليه السلام لما توسطت بهم السفينةُ في البحر خرقها كما قال تعالى: ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي**

(١) ويبدو من حديث رسول الله ﷺ أنه رجع لقوله في الحديث «فحملوهما» والمراد موسى والخضر.

السَّفِينَة خَرَقَهَا ﴾ [الكهف: ٧١].

أما كيف خرقها فقد ورد عن رسول الله ﷺ[١] أنه قال: «**فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم**» وفي رواية أُخرى[٢] عند البخاري أيضًا: «**فخرقها ووتد فيها وتدًا**».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٣]: والجمع بين الروايتين أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدًا وفي رواية عند البخاري[٤]: «**إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا، قال ولم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم**».

وقال الحافظ أيضًا: ... وفي رواية أبي العالية (فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك).

قلت (مصطفى): وقد أورد الطبري بسندٍ فيه ضعف

---

(١) البخاري (٤٧٢٥).
(٢) البخاري (٤٧٢٦).
(٣) فتح (٨/ ٢٧٢).
(٤) البخاري (حديث ٣٤٠١).

إلىٰ أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ . . . فذكر الحديث وفيه : «فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر ، يتعرضان الناس ، يلتمسان مَن يحملهما ، حتىٰ مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنا فيها ، ولجت بهما مع أهلها ، أخرج منقارًا له ومطرقة ، ثم عمد إلىٰ ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتىٰ خرقها ، ثم أخذ لوحًا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها ، ثم إن نبي الله موسىٰ عليه السلام قد رأىٰ الخضر ورأىٰ ما صدر منه من خرق السفينة ، فتعجب من هذا الصنيع واستنكره فيفترض أن الإحسان يجازىٰ بالإحسان ، وهؤلاء قوم جنحوا بسفينتهم إلىٰ البرِّ لحملنا ، ثم إنهم حملونا بغير أجرٍ فكيف نصنع معهم هذا الصنيع ، فعندها نسي موسىٰ عليه السلام العهد الذي أخذه عليه الخضر ، إذ قال له : ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف : ٧٠] .

لقد نسي موسىٰ عليه السلام هذا الشرط؟!

* قال النبي ﷺ: «**كانت الأولى من موسى نسيانا**»

لقد قال موسىٰ عليه السلام للخضر لما رآه قد خرق السفينة فاستنكر هذا الصنيع: ﴿ **قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا** ﴾ [الكهف: ٧١].

لقد صنعت شيئًا عظيمًا مُنكرًا!!

فعندها قال الخضر لموسىٰ عليهما السلام مُذكرًا ومُنبهًا: ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٧٢].

ألم أُخبرك أنك لن تطيق الصبر عليَّ، وعلىٰ ما يصدر مني من أحداث، وما تراه مني من أمور يُنكرها عقلك؟!

فعندها استدرك موسىٰ عليه السلام، فهو إنما جاء مُتعلمًا مسترشدًا، وقد أخبره ربه أن الخضر أعلم منه (في هذا الباب) وقد قال له الخضر: (إني علىٰ علم من الله علمنيه الله لا تعلمه) وأخذ عليه الخضر العهد أن لا يسأل عن شيء...

فلهذا ولغيره استدرك موسىٰ عليه السلام، وظهر له

نسيانه قال للخضر معتذرًا: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] لقد نسيت الشرط الذي اشترطه عليَّ فلا تؤاخذني وسهِّل عليَّ أمر صحبتك، ولا تجعل مرافقتي ومتابعتي لك شاقةً عليَّ !!

لقد قبل الخضر من موسى عليهما السلام هذا الاعتذار ومضى موضوع السفينة ونزلا منها.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ [الكهف: ٧٤].

سبحان الله لقد قتل الخضر الغلام!!

لقد قتله أمام موسى عليه السلام !!

ولكن كيف قتله؟

لقد انطلق الخضر مع موسى عليهما السلام، حتى إذا لقيا غلمانًا يلعبون فانطلق الخضر إلى أحدهم مُسرعًا بلا كبير تفكير في الظاهر، فقتله وقد ورد في «الصحيحين»[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فبينا هما يمشيان على

(١) البخاري (حديث ٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠).

الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله» .

وفي رواية أخرىٰ عند البخاري [١] أيضًا قال سعيد : وجد غلمانًا يلعبون فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال الحافظ في «الفتح» ويجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه .

قلت (مصطفى): ورواية سعيد الظاهر أنه ليست متصلة الإسناد فقد أخرج الطبري [٢] نحوها عن سعيد من قوله لم يرفع إلىٰ ابن عباس ولا إلىٰ رسول الله ﷺ وعند الطبري[٣] أيضًا بسند فيه ضعف : «فإذا غلمان يلعبون . . . ، فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه ، ولا أثرىٰ ولا أوضأ منه ، فأخذه بيده ، وأخذ حجرًا قال : فضرب به رأسه حتىٰ دمغه فقتله ، قال : فرأىٰ موسىٰ أمرًا فظيعًا لا صبر عليه» .

---

(١) البخاري (حديث٤٧٢٦) .

(٢) الطبري (٢٣٢٢٧) . (٣) الطبري (٢٣٢٠٩) .

وثمَّ سؤال يُطرح ، ألا وهو هل كان هذا الغلام المقتول بالغًا أم غير بالغ؟

وجوابه: لقد ذهب أكثر أهل العلم إلىٰ أن هذا الغلام كان دون البلوغ (أي لم يبلغ) ومن حججهم أن اسم الغلام يطلق في الغالب علىٰ من دون البلوغ .

ومن حججهم أيضًا قوله : ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] أي : طاهرة لم ترتكب ذنبًا ولم يجر عليها القلم .

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن هذا الغلام كان بالغًا ، ومن أدلتهم علىٰ ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» قالوا : والصغير لا يوصف بالكفر مع الأبوين المؤمنين وقوله : ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] ومن المعلوم أن الطفل الذي دون البلوغ إذا قتل شخصًا لا يُقتل به ، وأجاب هؤلاء علىٰ ما ورد من كون الغلام يُطلق علىٰ الصغير بأن كلمة الغلام تأتي أحيانًا يُراد بها الكبير أيضًا .

أما الأولون فأجابوا علىٰ الاستدلال بقوله عليه

السلام: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**»[١].

إن هذا ليس بصريح أبدًا في كونه كان بالغًا وعلى الاستدلال بقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] بأن مثل هذا القصاص من الصغير كان سائغًا في الأمم من قبلنا، والله تعالى أعلم، هذا، وقد قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿غُلامًا﴾ [الكهف: ٧٤] اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغًا أم لا؟ فقال الكلبي: كان بالغًا يقطع الطريق بين قريتين، وأبوه من عظماء أهل إحدى القريتين[٢]، وأمه من عظماء القرية الأخرى[٣].

ثم قال: وقال الجمهور: لم يكن بالغًا، ولذلك قال موسى: زاكية لم تذنب. وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام؛ فإن الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ، وتقابله الجارية في النساء. وكان الخضر قتله لما علم من سره، وأنه طُبع كافرًا كما في صحيح الحديث، وأنه لو أدرك لأرهق أبويه كفرًا.

---

(١) صح أن رسول الله ﷺ قال: «الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا» وسيأتي إن شاء الله.

(٢) كل هذا لا يصح له إسناد.

(٣) كل هذا لا يصح له إسناد.

وقتلُ الصغير غير مستحيل إذا أذن الله في ذلك ؛ فإن الله تعالىٰ الفعال لما يريد، القادر علىٰ ما يشاء . وفي كتاب «العرائس» إن موسىٰ لما قال للخضر : ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] الآية - غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدًا[1] .

وقد احتج أهل القول الأول بأن العرب تبقي علىٰ الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلىٰ الأخيلية :

شَفَاها من الدّاءِ العَضالِ الذي بها
غُلام إذا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاها

وقال صفوان لحسان :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيفِ عَنِّي فإنَّني غُلام إذا هُوجيتُ لَسْتُ بشاعر

وفي الخبر[1] : إن هذا الغلام كان يفسد في الأرض ، ويقسم لأبويه أنه ما فعل ، فيقسمان علىٰ قسمه، ويحميانه ممن يطلبه، قالوا وقوله : ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] يقتضي

(١) كل هذا لا يصح له إسناد .

أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، وإنما جاز قتله لأنه كان بالغًا عاصيًا، قال ابن عباس: كان شابًا يقطع الطريق. وذهب ابن جبير إلى أنه بلغ سنّ التكليف لقراءة أبيّ وابن عباس «وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين» والكفر والإيمان من صفات المكلَّفين، ولا يُطلق على غير مكلَّف إلا بحكم التبعية لأبويه، وأبوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر إلا بالبلوغ، فتعين أن يصار إليه. والغلام من الاغتلام وهو شدة الشَّبَق.

ولنرجع إلى قصتنا المباركة.

ماذا كان من موسى عليه السلام لما رأى الخضر قد قتل الغلام؟!!

لقد استنكر موسى عليه السلام مسألة قتل الغلام استنكارًا شديدًا، وذُعِرَ ذعرةً مُنكرةً (١).

إن القتل جريمةٌ بشعة فما بالك بقتل الغلام؟!!

(١) كما في رواية مسلم وستأتي إن شاء الله.

وما ظنك بقتل النفس الزكية؟!!

إن خرق السفينة قد يُعالج، وقد تعود أحسن مما كانت، لكن قتل الغلام، وقتل النفس الزكية كيف يُعالج.

ومن ثمَّ قال موسى عليه السلام للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤] يعني: طاهرةً من الذنوب: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] أي: بغير نفس قتلها هذا الغلام، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، أي لقد فعلت منكرًا عظيمًا، وأحدثت حدثًا عظيمًا.

فعندها اشتد الخضر على موسى، فموسى ﷺ إنما جاء مُتعلمًا مسترشدًا، وقد نُبِّه مرةً سابقة، ولكن ها هو يصدر منه ما قد نُهي عنه من قبل فمن ثمَّ قال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥] وهي أشد من الأولى، فالأولى فيها: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢].

والثانية فيها: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

فعندها استحيا موسىٰ عليه السلام من كثرة المراجعات وتكرار الاعتذارات، وأشفق من اللَّوم والذَّم فـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ للخضر عليهما السلام: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] أي: إن سألتك عن شيء بعد مسألتي هذه التي سألتك عن قتل الغلام ففارقني ومعك حقٌّ في مفارقتي فقد تركتني وتجاوزت عني مرارًا، فلك عذر إذن في مفارقتي فموسىٰ عليه السلام هو الذي قطع علىٰ نفسه سبيل الصحبة بعد أن تكرر منه الاعتذار، قطعه حياءً وإشفاقًا وخشية من اللوم.

قال نبينا محمد ﷺ: «**يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يُقصَّ علينا من أخبارهما**»، وقال أيضًا: «**ولو صبر لرأى العجب**»، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً، تكلم موسىٰ عليه السلام بالذي تكلَّم به: ﴿**إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي**...﴾ [الكهف: ٧٦].

فالخطأ إذا تكرر ثلاثًا فقد ضعف الاعتذار.

ومن ثم قال موسىٰ عليه السلام في الثالثة:

﴿**إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ**

من لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف: ٧٦] .

وقد قال تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠] أي: فإن طلقها الثالثة وفي الاستئذان يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يُؤذن له فليرجع**»[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية، قال ابن عطية: يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلى ثلاثة أيام وفي التلوم، ونحو ذلك.

نرجع فنقول، وبالله التوفيق.

﴿فَانطَلَقَا﴾ [الكهف: ٧٧] انطلق موسى مع الخضر عليهما السلام على هذا الشرط الذي اشترطه موسى على نفسه: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦] .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٢٦) ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٠).

لقد انطلقا ذاهبين : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾[1] [الكهف: ٧٧] لئامًا ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧] فطافا في المجالس يسألون أهلها الطعام : ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] فرفض أهل القرية أن يطعموهما ، رفض أهل القرية أن يقدموا لموسى والخضر عليهما السلام حق الضيف وما ينبغي للضيف .

فسبحان الله ، فمن **يجهل أمر الناس وأقدار الناس لا يُنزلهم منازلهم**.

موسى عليه السلام كليم الله من أولي العزم من الرسل ، ذلكم النبي الكريم الذي أُنزلت عليه التوراة ، وأمدَّه الله بالآيات الباهرات والمُعجزات الظاهرات يسأل الناس الطعام فلا يطعموه! وكذا الخضر عليه السلام الذي آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمًا يطلب من أهل القرية طعامًا ويطوف في مجالسها حتى يطعموه فكلهم يأبى أن يُطعمه .

---

(١) ولم يصح خبر مرفوع في تسمية القرية ، وهذا ليس بضار ، ولو كان في التسمية نفع لذكره ربنا سبحانه وتعالى .

فهكذا من لا يعرفون الناس لا يُنزِلونهم منازلهم!!!

إن نبينا محمدًا ﷺ مرَّ على امرأةٍ تبكي عند قبرٍ فقال لهـا: «**اتقي الله واصبري**» فماذا قالت لرسول الله ﷺ؟ وهي لا تعرفه، لقد قالت له: (إليك عني إنك لم تُصب بمصيبتي)، فقيل لها بعد ذلك: إنه رسول الله ﷺ فأتته في بيته فقالت: إني لم أعرفك يا رسول الله فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» (١)

شاهدي منه: أن المرأة التي لم تعرف النبي ﷺ تلفظت معه بلفظ لا تتلفظ به أبدًا لو أنها كانت تعرفه.

نرجع فنقول إن أهل القرية لم يطعموا موسى والخضر عليهما السلام، مع أن الضيف له حق.

* أخرج البخاري (٢) من حديث عقبة بن عامر قال:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(١) البخاري (حديث ٢٤٦١)، ومسلم (حديث ١٧٢٧)، وقد استدل بهذا الحديث من يرى أن الضيافة واجبة، بينما ذهب الجمهور إلى أنها مستحبة وأنها سنة مؤكدة، ومن حجج الجمهور على استحبابها قول النبي ﷺ: «جائزته يوم وليلة» وإعطاء الجائزة ليس بواجب فالجائزة تفضلٌ.

قلنا للنبي ﷺ: إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يَقْرونَنا فما ترىٰ فيه؟ فقال لنا: «**إن نزلتم بقومٍ فأُمِرَ لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف**».

* وقد أورد البخاري رحمه الله تعالىٰ هذا الحديث في كتاب المظالم من «صحيحه» مُشيراً بذلك - فيما يبدو لي - إلىٰ أن رب البيت إذا لم يُكرم الضيف فقد ظلمه ؛ إذ قد أورده تحت باب (قصاص المظلوم) إذا وجد مال ظالِمِه.

* وأخرج أحمد [(١)] بسندٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما ضيف نزل بقومٍ فأصبح الضيف محرومًا فله أن يأخذ بقدر قِراه ولا حرج عليه**».

* وأخرج أبو داود [(٢)] بإسناد صحيح من حديث المقدام ابن معديكرب (أبي كريمة) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلة الضيف حق على كل مسلم، فمن أصبح**

(١) أحمد (٢/ ٣٨٠).
(٢) أبو داود (٣٧٥٠).

بفنائه فهو عليه دين إن شاء اقتضى وإن شاء ترك».

وهذا أيضًا كمٌّ من الوارد في الحث على إكرام الضيف لعل مُدّكرًا أن يدَّكر، ومتعظًا يتعظ.

أخرج البخاري ومسلم [1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[2] ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**

* وفيهما [3] أيضًا من حديث أبي شريح العدوي رضي

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٨) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٧).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري» (١٠/ ٤٦٠)، طبعة الريان: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحبًا، ويُجمع الجميع على أنه من مكارم الأخلاق.

(٣) البخاري (٦٠١٩)، وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٨)، (ص١٣٥٢).

الله عنه قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلَّم النبي ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**» قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقةٌ عليك**[١]**، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

* وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «... **وإن لزورك**[٢] **عليك حقًّا** ...» [٣].

* ويقرُّ النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي

---

(١) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٩) عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يُتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلةً، وفي اليومين الأخيرين يُقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٢) الزور: هو الضيف، يُقال: هؤلاء زور.

(٣) الحديث أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

الدرداء: «وإن لضيفك عليك حقًا»[١].

* وأخرج أحمد [٢] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال: «**ما من الناس مثل رجلٍ آخذ بعنان فرسه فيجاهد في سبيل الله ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل بادٍ في غنمه يقري ضيفه، ويؤدي حقه**».

وأخرج مسلم [٣] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم، مرضت فلم تَعُدْني،**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه، وفيه أن سلمان قال لأبي الدرداء رضي الله عنهما: إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولضيفك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه» فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك فقال له: «صدق سلمان».

وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) (حديث ١٩٦٨، ٦١٣٩).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٣١١).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٩).

قال: يـا رب، كيف أعودك وأنـت رب العالمين؟ قـال: أما علمت أن عبـدي فلانًا مرض فلم تعـده؟! أما علمت أنك لو عـدته لـوجـدتني عنده؟ يا بـن آدم، اسـتطعـمـتك فلم تطعـمني ، قـال : يا رب ، وكـيف أطعـمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمـت أنه استطعـمك عبدي فـلانٌ فلم تطعمـه؟ أما علمت أنك لو أطعمتـه لوجدت ذلك عندي؟ يا بن آدم، اسـتسـقـيتـك فلم تسقنـي، قال : يا رب، كـيف أسقـيك وأنت رب العالمين؟ قـال: استسـقاك عبـدي فلانٌ فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني مجهودٌ، فـأرسل إلىٰ بعض نسـائه فـقـالت: والذي بعـثك بالحق مـا عندي إلا مـاءٌ، ثم أرسل إلىٰ أُخـرىٰ، فقـالت مـثل ذلك، حـتىٰ قلن كـلهن مـثل ذلك: لا، والذي بعـثك بالحق، مـا عندي إلا ماءٌ، فقـال: **«من يُضيف هذا الليلة، رحـمه الله»** فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فـانطلق به إلىٰ رحله، فقـال لامرأتهِ، هـل عندكِ شيءٌ؟ قـالت: لا،

إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنَّا نأكل، فإذا أهوىٰ ليأكل فقومي إلىٰ السراج حتىٰ تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيفُ، فلما أصبح غدا علىٰ النبي ﷺ فقال: «**قد عجب اللهُ من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

* وأخرج البخاري في «صحيحه»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا علىٰ حيٍّ من أحياء العَرب، فلم يَقروهم، فبينما هم كذلك إذ لُدغَ سَيِّدُ أولئكَ، فقالوا: هل معكم من دَواءٍ أو راق؟ قالوا: إنكم لم تَقرونا، ولا نفعل حتىٰ تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قَطيعًا من الشاء، فجعل يَقرأ بأم القرآن، ويجمعُ بزاقَهُ ويَتْفِل فبرَأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا تأخُذه حتىٰ نسألَ النبي ﷺ، فسألوهُ، فضحكَ وقال: «**وما أدراكَ أنها رُقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم**».

---

(١) البخاري (حديث ٥٧٣٦).

وأُخِذَ من هذا الحديث أن للضيف أن يطلب من القوم قدر قِراه، وأن يطلب منهم أن يضيفوه .

ولكن هكذا البشر منهم الكريم ومنهم البخيل .

منهم من يعرف حق الضيف ويقدمه لك قرير العين بضيافة الأضياف، ومنهم الشحيح البخيل الممسك .

وقد يبتلى أهل الصلاح بأولئك الأشحة المُمْسكين البخلاء والله يفعل ما يشاء .

ولنرجع فنقول ماذا كان من الخضر عليه السلام، وقد امتنع أهل القرية عن استضافته واستضافة صاحبه موسى عليه السلام؟! لقد انطلق الخضر مع موسي عليه السلام: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾ [الكهف: ٧٧] في القرية: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] .

لقد رأى الخضر جداراً مائلاً يريد أن ينقض، يوشك أن يسقط وينهدم فأقامه الخضر بيده وأصلحه، وسواء عليه أمسح الجدار بيديه فأصلحه بإذن الله وقدرته، أو أنه هدمه

ثم بناه، فالحاصل أنه عَدل ميله حتى عاد مستويًا[١] فحينئذ تكلم نبي الله موسى عليه السلام، قائلاً: قومٌ أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] فالضيف له حق، وهؤلاء بخلاء لم يعطوا الضيف حقه فتعمَدُ إلى جدارهم تقيمه وتُصلحه بلا أجر!!

فحقًّا إنها أمورٌ غريبة على نبي الله موسى عليه السلام، وكذا فهي عجيبة أيضًا!!

الذين يحسنون إلينا ويحملوننا في سفينتهم بغير أجرٍ نخرق لهم سفينتهم؟!!

والذين يسيئون إلينا ويمنعوننا حق الضيف ونسألهم الطعام، ونمرُّ بمجالسهم نسألهم لقمةً من العيش نقيم بها

(١) قال الطبري رحمه الله: والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله عزّ ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدا جدارًا يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى بمعنى: عَدَّل ميله حتى عاد مستويًا. وجائز أن يكون كان ذلك بإصلاح بعد هدم. وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوى بقدرة الله، وزال عنه مَيْله بلطفه. ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأي ذلك كان من أي.

صُلبنا فيمنعوننا نحسن إليهم ونبني لهم الجدار بلا أجر؟!

إنها أمورٌ تدعو إلى الاستنكار والتعجب ، فلذا صدر من نبي الله الكريم الكليم موسى عليه السلام ما صدر[1]!!

أمَّا الخضر عليه السلام فهو يفعل ما يفعله بوحيٍ، ليس من قِبل نفسه، وليس عن اجتهاده ورأيه .

---

(١) ويذكر بعض العلماء الذين يتتبعون مِلح التفاسير والمنثورات فيه، أن نبي الله موسى عليه السلام استنكر أمورًا، وقد حدثت له أمور تشابهها، فقد استنكر خرق السفينة خشية غرق أهلها، وقد ألقته أمه وهو طفل صغير رضيع في تابوت، وألقت التابوت في اليم!! فسبحان الله! وكذا أنكر موسى عليه السلام قتل النفس، وقد قتل موسى عليه السلام نفسًا لم يُؤمر بقتلها!! فسبحان الله! .
وكذا أنكر موسى إقامة الجدار بلا أجر لقوم لم يُقروهم ولم يقدموا لهم حق الضيف .
وقد أتى موسى عليه السلام ماء مدين فوجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال : ما خطبكما قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير .

أما ، وقد حكم نبي الله موسى عليه السلام على نفسه من قبل بقوله : ﴿ **إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا** ﴾ [الكهف: ٧٦] فحينئذ قرر الخضر عليه السلام الفراق ، قائلاً : ﴿ **هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾ [الكهف: ٧٨] .

ولكنه لم يترك موسى عليه السلام بلا تعليم ، بل طمأن قلبه بإخباره بأسرار ما صنع ، وحقيقة ما كان بل قال له : ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٧٨] أي : سأُخبرك بحقيقة الأمور التي لم تستطع الصبر عليها .

﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ** ﴾ التي أنكرت عليَّ خرقها .

﴿ **فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ** ﴾ [الكهف: ٧٩] فأصحابها مساكين دخلُهم لا يكاد يكفيهم ، ولذلك وُصفوا بأنهم مساكين مع امتلاكهم سفينة .

﴿ **فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا** ﴾ [الكهف: ٧٩] فرغبتُ في خرقها لا للإضرار بالمساكين ، ولا للمشقة عليهم ، ولكن لعلةٍ خفيت عليك .

﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾[1][الكهف: ٧٩] ظالمٌ مغتصبٌ ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩] يتتبع السفن الصالحة[2] الجيدة في البحر، فإذا وجد سفينةً صالحةً اغتصبها من أصحابها ظلمًا وعدوانًا، وإذا وجد سفينةً مُنخرقةً تجاوزها وتعدَّاها ولم يأخذها، ثم هم بعد ذلك يصلحونها بخشبةٍ. فهذا شأن السفينة وهذا بيانُ حالها، وذاك مآل أمرها، فما صنعته أنا مع أصحاب السفينة إذن كان شكرانًا للجميل ومكافأةً على المعروف والإحسان اللذان صُنعا معنا.

أما نحن فنأخذ من هذا الصنيع فوائد وعبرًا منها.

إن الأمور قد يكون في ظاهرها المكروه والسوء، ولكنها تحمل للمؤمن كلَّ خير، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله: ﴿وراءهم﴾ [البقرة: ٢١٦] بمعنى أمامهم، واستدل له بقوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ [إبراهيم: ١٦].

(٢) قلنا الصالحة؛ لأنه لو كان يأخذ كل سفينة ما كان لخرقها معنى.

وقال تعالى في شأن النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] [النساء: ١٩].

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٤٦٦) ومسلم (ص ١٩٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب جريج...» فذكر الحديث وفيه «وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجلٌ راكب على دابةٍ فارهةٍ[1] وشارة[2] حسنة فقالت أمه: اللهمَّ! اجعل ابني مثل هذا. فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه. فقال: اللهم! لا تجعلني مثلهُ ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع.

قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعهِ السبابة في فمهِ. فجعلَ يَمُصها قال: ومرُّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيتِ، سرقتِ. وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمهُ: اللهمَّ! لا تجعل ابني مثلهاَ. فترك الرَّضَاع ونظر إليها. فقال اللهمَّ! اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث[3] =

---

(١) (فارهة) الفارهة النشيطة الحادة القوية.

(٢) (وشارة) الشارة الهيئة واللباس.

(٣) (تراجعا الحديث) معناه أقبلت على الرضيع تحدثه. وكانت أولا لا تراه أهلاً للكلام، فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته.

ومنها أن المفاسد إذا تواردت علينا ، وكان لزامًا أن نقع في واحدة منها اخترنا أخف المفاسد دفعًا لكبيرها وأخطرها.

فهنا إما أن تُخرق السفينة وإما أن تُغتصب ، فكان الخرق أخف المفسدتين ، فأقدم الخضر عليه السلام على خرقها دفعًا لمصادرتها .

أما الغلام الذي استنكرتَ عليَّ قتله فطبع يوم طُبع كافرًا ، وكان أبواه قد عطفا عليه ، فلو أنه أدرك لأرهقهما طغيانًا

= فقالت : حلقى[1] ! مر رجلٌ حسنُ الهيئة فقلتُ : اللهم ! اجعل ابني مثله فقلت : اللهم لا تجعلني مثله . ومرُّوا بهذه الأمة وهم يضربُونها ويقولون : زنيت، سرقت . فقلتُ : اللهم ! لا تجعل ابني مثلها فقلت : اللهمَّ ! اجعلني مثلها[2] .

قال : إن ذاكَ الرَّجلَ كَانَ جَبَّارًا . فقلت اللهُمَّ ! لا تَجْعَلْنِي مثلَهُ ، وإن هذه يقُولُون لَهَا : زَنَيْتِ ولَمْ تَزْنِ ، وسَرَقت ولم تسرِق ، فقلت اللهمَّ! اجعلني مثلها .

(١) (حلقى) أي أصابه الله تعالى بوجع في حلقه .

(٢) (مثلها) أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة .

وكفراً، وقد كان أبواه مؤمنين، وكانا يحبانه، فقد يحملهما حبهما له على متابعته على ما هو عليه، وعلى الدفاع عنه رغم أنه مُبطل ومفسد، وعلى ظلم الناس بسببه ولو عاش لأوقعهما في الكفر، فأُمرنا بقتله ولم نقتله من تلقاء أنفسنا، إنما أمر بقتله الخبير البصير، الحكيم الخبير سبحانه وتعالى، وهو أعلم بالعباد فأردنا بقتله ـ أن يبدلهما ربهما ولداً أصلح من هذا الولد وأشد براً بوالديه وأوصل للرحمن من هذا الشرير.

ونأخذ من هذا أيضًا فوائد:

منهــا: إن الشخص لا يفرح لكونه رُزق بمولود ذكر فقط! بل عليه أن يسأل الله الصلاح، صلاح النفس والأزواج والذريات ولذا فأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ورب العزة يقول: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١].

وأيضًا: لا يحزن حزنًا شديدًا يُهلك به نفسه إذا مات ولده، فما يدري كيف لو عاش هذا كيف يصنع.

صحيحٌ إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا للفراق لمحزونون، ولكن لا نقول إلا ما يرضي الرب سبحانه وتعالى.

وأيضًا: فليحذر الوالد من ولده الغويِّ فقد يرهقه طغيانًا وكفرًا، وقد قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾** [التغابن: ١٤]، وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٤].

نأخذ أيضًا من قصة قتل الغلام: خشية أن يرهق والديه طغيانًا وكفرًا دفع أعظم المفاسد إذا تواردت المفاسد (وإن كانت هذه الواقعة بعينها - واقعة قتل الغلام خاصة بالخضر)، إنما الشاهد أصل هذه القصة، والله أعلم.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الذي أنكرت عليَّ إقامته وإصلاحه بدون أجر، **﴿فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾** [الكهف: ٨٢] وهذا الكنز قيل: إنه كنز من

المال، وقيل: إنه كنز من العلم، فالله أعلم بصحة ذلك، فلو سقط الجدار لأتى أهل هذه القرية البخلاء الذين لم يضيفونا فأخذوا هذا الكنز واستحوذوا عليه لأنفسهم، وأكلوا أموال اليتيمين.

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: كان والد اليتيمين صالحًا: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢]. أي: لكون الوالد كان صالحًا حفظ الله لأولاده كنزهما حتى يكبرا ويقويا لاستخراج الكنز، وفي هذا رحمةٌ من الله عز وجل لهذين اليتيمين، وإكرامٌ من الله عزَّ وجل للوالد الصالح، وهكذا صلاح الآباء ينتفع به الأبناء في الدنيا وفي الآخرة.

أما في الدنيا فقد قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩] وأما في الآخرة فرب العزة يقول: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

ثم بين الخضر لموسى عليهما السلام، أن كل هذا الذي قد صدر من الخضر لم يصدر عن اجتهاده ورأيه، بل هو مأمور بأمر الله عز وجل له، فقال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي، وما صنعت الذي صنعت عن اجتهادي ورأيي، ولكن عن أمر الله تبارك وتعالى ثم قال له: ﴿ذَلِكَ﴾الذي شرحته لك وبينته لك ﴿تَأْوِيلُ﴾أي تفسير وتوضيح ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْه صَبْرًا﴾ أي الأمور التي لم تستطع الصبر عليها، وقيل هنا ﴿تَسْطِع﴾ وفي الآية الأولى ﴿تَسْتَطِع﴾ لكون الغموض قد زال بعض الشيء فخُفِّفت فقيل: تستطع. والله أعلم.

هذا وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، أي: هذا تفسير ما ضقت به ذرعًا، ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء، ولما أن فسره له وبينه، ووضحه وأزال المشكل، قال: ﴿تَسْطِع﴾ [الكهف: ٨٢] وقبل ذلك كان الإشكال قويًا ثقيلاً فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ

تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨] فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال: **﴿فَمَا اسْطَاعُوا أن يَظْهَرُوهُ﴾** [الكهف: ٩٧] وهو الصعود إلىٰ أعلاه **﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾** [الكهف: ٩٧] وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً بما يناسبه لفظًا ومعنىٰ، والله أعلم.

هذا، ونأخذ من قصة إقامة الجدار فوائد؛ منها ما يلي:

*جواز إصلاح مال الشخص بغير إذنه إذا كان سيتلف؛ فقد أقام الخضر الجدار دون أن يستأذن أصحابه.

قد قال تعالىٰ: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾** [البقرة: ٢٢٠] وذكر النبي ﷺ في حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن أحدهم قال: **«اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أَرُزٍّ، فذهب وتركه، وأني عمدتُ إلى ذلك الفرق فزرعتُه، فصار من أمره أني اشتريتُ منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجره،**

فقلتُ له: اعمدْ إلى تلك البقر فسُقْها، فقال لي: إنما لي عندك فرَق من أرز، فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرَق فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، فانساخَت عنهم الصخرة»[١] .

نأخذ منها أيضًا استحباب إكرام أهل الصلاح بخدمة أقاربهم وأولادهم ، فقد أقام الخضر الجدار للغلامين اليتيمين، إذ قد كان أبوهما صالحًا .

ومن هذا الباب قول أبي بكر لعليٍّ رضي الله عنهما : «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصل من قرابتي»[٢] وقول أبي بكر رضي الله عنه أيضًا : «ارقبوا محمداً في أهل بيته»[٣] .

ومن ذلك ما أخرجه مسلم [٤] في «صحيحه» من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « ما غرت

---

(١) البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣) .

(٢) البخاري (رقم ٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩) .

(٣) البخاري (٣٧١٣) .

(٤) مسلم (حديث ٢٤٣٥) .

علىٰ امرأة ما غرت علىٰ خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلىٰ خلائلها».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[1] بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن هشام، عن محمد بن سيرين قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله ﷺ فقال: «إن رسول الله ﷺ لم يكن شَابَ إلا يسيراً، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضَّبا بالحناء والكتم»، قال: «وجاء أبو بكر بأبيه قحافة إلىٰ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتىٰ وضعه بين يدي رسول الله ﷺ» فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه مكرمة لأبي بكر**».

* نأخذ منها أيضًا جواز إطلاق القرية علىٰ المدينة،

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٠).

فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ...﴾ [الكهف: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢] فالقرية هي مجموعة البيوت المستقرة، وهذا يطلق متحقق في المدينة أيضًا.

* ويؤخذ من ذلك جواز اكتناز الأموال وادخارها للضعفاء ونحوهم ما دامت تؤدىٰ زكاتُها، فما أدي زكاته فليس بكنز.

* ونأخذ من القصة أيضًا التأدب في اللفظ عند النقل عن الله عزَّ وجل، وقد قدمنا لذلك تفصيلاً، وهو هنا مأخوذ من قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فنسب العيب إلى نفسه مع أنه يفعل كل شيء بأمر الله، وقال في الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] فنسب الخير إلى الله عزَّ وجل.

وبين يدي الختام فهذه فوائد من هذه القصة المباركة قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، إضافة إلى ما ورد في ثناياها من الفوائد ، وبالله التوفيق :

فمن ذلك ما يلي:

فوائد تتعلق بطلب العلم:

من ذلك ما يلي :

ابتداءً على كلٍّ من العالم والمتعلم أن يُخلصا النوايا لله عزَّ وجل ويبتغيا وجهه سبحانه وتعالى بعلمهما؛ فإن رسول الله ﷺ قد قال :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١] .

❊ وقد بيَّن رسول الله ﷺ أن من أول من تُسعر بهم

---

(١) البخاري حديث (١) ومسلم .

النار ثلاثة :

منهم من قرأ ليُقال قارئ، أو تعلم ليقال عالم[1] ، والأحاديث الواردة في هذا كثيرة جداً .

* ثم يؤخذ من قصة موسى عليه السلام وذهابه إلى الخضر ، استحباب الرحلة لطلب العلم والالتقاء بالعلماء والتزود لذلك .

فإن موسى عليه السلام، رحل لذلك وتزوَّد بالحوت ، واصطحب خادمه معه من أجل ذلك ، كل ذلك مع إصراره على اللقاء .

---

(١) عند مسلم (٣/ ١٥١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد . . .» فذكر الحديث وفيه : «ورجل تعلم العلم وعلَّمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلَّمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار» .

ويؤخذ من القصة مشروعية الرحلة لطلب العلم والاستزادة منه:

ومن الدليل على مشروعية الرحلة لطلب العلم واستحباب الخروج؛ لتحصيله والاستزادة منه قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ من كُلِّ فرْقَة مِّنْهُمْ طَائفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وعلى طالب العلم أن يُوطن نفسه على الصبر، وأن يسأل الله ذلك، فالصابر إنما صبره بالله.

ومن ثم قال موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف: ٦٩].

ومما يدل على أن طالب العلم يُستحب له الصبر والتأني قول رسول الله ﷺ في الحديث: «**وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما**».

وليُعلم أن الإمامة لا تُنال إلا بالصبر واليقين؛ قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ**

بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ويؤخـــذ من ذلك أيضًـــا تلطـف طالب العـلم وتواضعه مع العالم: وذلك من قول موسىٰ عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فالمعنىٰ: هل تأذن لي في اتباعك.

❊ وفيه أيضًا استئذان طالب العلم من العالم لمصاحبته والاستفادة منه.

❊ ومما يشهد لتواضع طالب العلم للعالم ما ورد عن الحبر الكريم الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

أخرج ابن سعد[1] في «الطبقات» بسندٍ صحيح عن الشعبي قال: «أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالرِّكاب، فقال: تنح يا بن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا».

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦]

(١) «الطبقات» (٢/ ٢/ ١١٦).

هذا سؤال الملاطف، والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب، المعنى: هل يتفق لك ويخفّ عليك؟ وهذا كما في الحديث: «هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟» وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢] حسب ما تقدم بيانه في «المائدة».

ويؤخذ من القصة أيضًا جواز اشتراط العالم على من يريد مصاحبته: وذلك من قول الخضر لموسى عليهما السلام ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] .

ومحل ذلك إذا لم تخالف هذه الشروط شيئًا من كتاب الله عزَّ وجل أو من سنة رسول الله ﷺ.

وفيه أيضًا تذكير العالم للمتعلم بسعة علم الله عزَّ وجل:

فقد تقدم في الحديث. . . «وجاء عصفور فوقع على

حرف السفينة فنقر في البحر نقرةً، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر».

فمع كل الذي صنعه الخضر، وأطلعنا الله عليه، فكل هذا لا يقارب في علم الله إلا كما نقر العصفور في البحر، وقد قال تعالى أيضًا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وفيه أن العالم عليه أن يذكر الدليل لمن يتعلم منه، وأن يبين له أن ما يصنعه إنما هو بدليل حتى يطمئن قلبه ويهدأ باله: فدائمًا طلاب العلم والحق وأهل الإيمان يقنعون بالدليل من الكتاب والسنة، فعنده تقف عقولهم ويُسلِّموا لربهم، وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] أي: إن الذي صنعته كان بأمر الله ووحيه ليس بأمري واختياري.

وقال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره «تيسير الكريم المنان» في الفوائد من هذه القصة:

ومنها: إن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده.

ونوع علم لدني يهبه الله لمن يمنُّ عليه من عباده؛ لقوله: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥].

* وهذه فوائد أُخر:

ويؤخذ من القصة حرص نبي الله موسى عليه السلام على الازدياد من الخير، وهذا شيء معروف عن نبي الله الكريم الكليم موسى عليه السلام، فمع أن الله عز وجل آتاه التوراة، وكلمه تكليمًا وكان الوحي يأتيه وجعله من أولي العزم من الرسل إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستزادة من العلم والحرص على لقاء أهله وقد قال له الخضر عليه السلام: أما يكفيك أن التوراة بين يديك وأن الوحي يأتيك؟!! ولكنه مع ذلك يُصرُّ على الصحبة للاستزادة

والاستفادة عليه صلوات الله وسلامه .

* ومن حرص هذا النبي الكريم على الخير مع أن الله كلمه تكليمًا قوله : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولكن لما كانت رؤية الله في الدنيا لا تتم لبشر قال تعالى : ﴿لَن تَرَانِي..﴾ وقال له أيضًا : ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فليحرص المؤمن على الخير وليسأل ربه مزيد الفضل، والله واسع عليم جواد كريم .

ويؤخذ من القصة التواضع والأكل مع الخدم، وإطعامهم مما يطعم الشخص: فقد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا .

وفي الحديث : «إذا أتى أحدَكم خادمُهُ بطعام فيناوله منه اللقمة واللقمتين فإنه ولي حره»[1] .

وما أجمل ما صنع أبو ذر رضي الله عنه مع خادمه إذ كساه حلَّة تشبه حُلَّته .

ففي «الصحيحين» [2] من طريق المعرور قال : لقيت أبا

---

(١) البخاري (٩/ ٥٤٦٠)، ومسلم (١٦٦٣).

(٢) البخاري (حديث ٣٠، ٦٠٥٠)، ومسلم (حديث ١٦٦١).

ذر بالربذة وعليه حلّةٌ وعلى غلامه حُلّةٌ فسألته عن ذلك ، فقال : إني ساببتُ رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي ﷺ : **«يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»** .

ويؤخذ من ذلك تقديم المشيئة بين يدي الأعمال:

وذلك لقول موسى عليه السلام : ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف: ٦٩]، وقد قال تعالى في سورة الكهف أيضًا : ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] .

وقد يقول الشخص إن شاء الله ، ولا يتحقق له ما يريد إذ الله يُريد شيئًا آخر ، وذلك لأن موسى عليه السلام لم يصبر ، فقد قال النبي ﷺ : **«وددنا أن موسى عليه السلام قد صبر...»**.

ومن الفوائد التي تُقتبس من القصة أن المرء عليه أن يجتهد في عبادته ويستقيم على أمر الله؛ طلبًا لثواب الله وحتى يحفظ الله ذريته ويكرمهم:

من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

ثم إن العباد الصالحين يواصلون الدعاء لأبنائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]. وكذا يقول قائلهم: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥]، فلتقواهم يتقبل الله دعاهم إذ الله قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وكذا لطيب طعامهم وشرابهم يتقبل الله منهم، أما

غيرهم فقد ذكر النبي ﷺ: **«الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب!! ومطعمه حرام ومشربه حرام، وغُذِّي بالحرام فأنَّى يُستجاب له»**(١) .

وأيضًا فانتفاع الأبناء بصلاح الآباء مستمرٌّ إلى الآخرة ما دام الأولاد على الإسلام والآباء كذلك، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾** [الطور: ٢١].

ومن الفوائد إن الشخص قد يُوصف بالمسكنة، ومن ثم يكون مصرفًا من مصارف الزكاة الثمانية وهو يمتلك سفينةً، وذلك إذا كان دخلُها لا يكفيه:

وأحيانًا قد يمتلك الشخص سيارة يُكريها (يؤجرها) وثمنها مائة ألف ويدخل له من تأجيرها في السنة خمسة آلاف، وعنده أسرةٌ من عشرة أفراد لا يكفيهم ما تدخله عليهم السيارة، فيكونون حينئذٍ مصرفًا من مصارف الزكاة، ولا يؤمروا ببيع سيارتهم والإنفاق من أصل ثمنها.

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

وأخيرًا فقد ترد حول القصة أسئلة؛ منها:

هل تُقتل الأنفس بناء على الخوف من شيءٍ قد يصدر منها؟

وجواب ذلك: لا تقتل الأنفس بناء على ذلك.

فمن ثم سيوجه سؤال آخر وهو: فلماذا إذن قتل الخضر الغلام؟

وجوابه: قتله لأن الله أمره بذلك، فقد قال: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف: ٨٢] ثم إن الله عزَّ وجل أعلم بالعباد، وربنا سبحانه وتعالى عليم حكيم رحيم.

وقد قال نبيه ﷺ: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**» هذا، وقد أخرج مسلم [١] رحمه الله تعالى من طريق يزيد بن هرمز؛ أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلالٍ، فقال ابن عباس: «لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه» [٢] كتب إليه

---

(١) مسلم (حديث ١٨١٢).

(٢) «لولا أن أكتم علمًا ما كتبتُ إليه» يعني إلى نجدة الحروري من الخوارج، معناه أن ابن عباس يكره نجدة لبدعته، وهي كونه من الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ولكن لما =

نجدة: «أما بعد، فأخبرني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضي يُتْمُ اليتيم؟ وعن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: «كتبت تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين [١] من الغنيمة وأما بسهم، فلم يضرب لهُنَّ وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان. فلا تقتل الصبيان وكتبت تسألني: متى ينقضي يُتْمُ اليتيم [٢] فلعمري إن الرجل لتنبت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه ضعيف العطاء منها فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ [٣] الناس، فقد ذهب

= سأله عن العلم لم يمكنه كتمه فاضطر إلى جوابه وقال: «لولا أن أكتم علمًا ما كتبت إليه». أي لولا أنني إذا تركت الكتابة أصير كاتمًا للعلم مستحقًا لوعيد كاتمه، لما كتبت إليه.

(١) (ويحذين) أي: يعطين الحذوة وهي العطية. وتسمى الرضخ والرضخ: العطية القليلة.

(٢) (متى ينقضي يتم اليتيم) أي متى ينتهي حكم يتمه، أما نفس اليتم فينقضي بالبلوغ.

(٣) (فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ) أي: فإذا صار حافظًا لما له عارفًا بوجوه أخذه وعطائه.

عنه اليتم، وكتبت تسألني عن الخُمس لمن هو؟ وإنا كنا نقول: هو لنا فأبىٰ علينا قومنا ذاك.

وفي رواية أخرىٰ عن مسلم أيضًا أن ابن عباس كتب إلىٰ نجدة، فقال له: وكتبت تسألني عن قتل الولدان؟ وإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم وأنت فلا تقتلهم إلا أن تعلم منهم ما علم صاحب موسىٰ من الغلام الذي قتله.

س: قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ...﴾ [الكهف: ٧٧] **يُفيد أنها قرية وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ...﴾** [الكهف: ٨٢] **يفيد أنها مدينة فكيف الجمع؟**

ج: الجمع أن يُقال إن المراد بالقرية هنا مجموعة البيوت المستقرة فبهذا التعريف يندفع الإشكال، فالمدينة أيضًا بيوتها مستقرة.

وقد قال الله تعالىٰ في شأن مكة ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ [الشورىٰ: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**أفأمن أهل القري أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون**﴾ [الأعراف: ٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال القاسمي رحمه الله:

في هذه الآية دليل علىٰ إطلاق القرية علىٰ المدينة؛ لأنه قال أولاً: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ...﴾ [الكهف: ٧٧] وقال ها هنا: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ...﴾ [الكهف: ٨٢] كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: مكة والطائف.

س: هل الخضر كان نبيًّا أم وليًّا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه نبي، وهو قول جمهور العلماء، نقله عنهم غير واحد، فقد قال القرطبي: العبد هو الخضر عليه السلام في قول جمهور العلماء، وقال الحافظ في «الفتح»

وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟

وقالت طائفة منهم القشيري: هو ولي.

قلت (مصطفى): الوارد في كتاب الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]

فإذا فُسرت الرحمة بالنبوة، فقد تم الاستدلال لمن قال بنبوته وإلا فيستدل للقائلين بنبوته بل ورسالته أيضًا بقول الخضر ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] مع قول الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وهذه طائفة من أقوال أهل العلم في ذلك:

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه،

وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي ، وقيل : كان ملكًا أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن . والأول الصحيح ، والله أعلم .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله تعالى : ﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ [الكهف : ٨٢] أي : هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ لكني أُمرت به ، ووُقفت عليه ، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر - عليه السلام - مع ما تقدم من قوله : ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف : ٦٥] .

وقال آخرون: كان رسولاً .

وقيل: بل كان ملكًا . نقله الماوردي في «تفسيره» .

وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيًا، بل كان وليًا، فالله أعلم .

وقال السعدي في «تفسيره» : في الفوائد المستنبطة من القصة المباركة ومنها : أن ذلك العبد الذي لقياه ، ليس نبيًّا ، بل عبدًا صالحًا ؛ لأنه وصفه بالعبودية ، وذكر منَّة الله عليه بالرحمة والعلم ، ولم يذكر رسالته ولا نبوته ، ولو كان نبيًّا لذكر ذلك ، كما ذكر غيره . وأما قوله في آخر القصة : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث ، كما يكون لغير الأنبياء ، كما قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] ، ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨] .

وقد تعقبه المعلق بقوله: قوله : « فإنه لا يدل على أنه نبي إلخ» سبق أن قلنا : إن التحقيق أنه نبي . ونزيد هنا ما قاله أبو السعود في «تفسيره» : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] التنكير للتفخيم ، والإضافة للتشريف ، والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا ابن ملكان ، وقيل : اليسع ، وقيل : إلياس عليهم الصلاة

والسلام، ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] وهي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] خاصًّا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب اهـ.

ونزيد ثانيًا أن الله قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] فلما أظهر الخضر على علم الغيب دل على أنه رسول بنص الآية التي ذكرناها؛ لأنه تعالى خصص إظهار علم الغيب وحصره في المرسلين وغيرهم لا يطلعه على شيء من علم الغيب وتنظير المؤلف ما أوحاه الله إلى الخضر بالوحي إلى النحل وبالوحي إلى أم موسى بعيد كل البعد عن مسألة الخضر؛ فإن الوحي إلى النحل وإلى أم موسى ليس من الأمور الغيبية حتى يستقيم التنظير.

س: هل الخضر ما زال حيًّا؟

ج: لم أقف على خبر صريح في ذلك عن رسول الله ﷺ وقد ذهب إلى أنه قد مات عدد من أهل العلم، بينما

ذهب الأكثرون إلى أنه حيٌّ، وكما ذكرت فلم أقف - لمن قال بأنه حي - على خبرٍ صحيح عن رسول الله ﷺ .

أما الذين قالوا بوفاته فاستدلوا بأدلة؛ منها قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وبقول النبي ﷺ لما خطب أصحابه بعد العشاء: **«لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد»** (١) .

وبأنه لو كان حيًّا لتبع النبي ﷺ ، وقد قال النبي ﷺ يوم بدر **«اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد**

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٠١)، ومسلم (حديث ٢٥٣٧)، من حديث عبد الله بن عمر قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العشاء في آخِرِ حياتِهِ فلما سلَّم قام النبيُّ ﷺ فقال: «أرأيتَكُم ليلَتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهرِ الأرض أحدٌ» فوَهِلَ النَّاسُ (١) في مقالة رسول الله صلى الله عليه =

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٢/ ٧٥) قوله: «عن مائة سنة» لأن بعضهم كان يقول: إن الساعة تقوم عند تقضي مائة سنة كما روى ذلك الطبراني وغيره من حديث أبي مسعود البدري ورد ذلك عليه علي بن أبي طالب وقد بين =

= وعلى آله وسلم إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يبقى ممن هو اليوم علي ظهر الأرض» يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن.

وعند مسلم [١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل أن يموت بشهر: «تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة».

وعنده أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[٢] لما رجع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

= ابن عمر مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث، وأن مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن، فلا يبقى أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتًا وغاية ما قيل فيه إنه بقي إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والله أعلم.

(١) مسلم (حديث ٢٥٣٨).

(٣) مسلم.

في الأرض»[1] .

كانت هذه بعض أدلة القائلين بوفاته، أما الذين قالوا بأنه حيٌّ فأوردوا أخباراً واهيةً وآثاراً لا تقوم بها حجة، ولا يخلو أغلبها من مقال .

وهذه بعض الأقوال في ذلك:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري»[2] : قال ابن الصلاح : هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر انتهى. والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر بن العربي

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣)، من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٤٣٤) فما بعدها .

وطائفة ، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته : «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد**» ، قال ابن عمر : أراد بذلك انخرام قرنه . وأجاب مَن أثبت حياته بأنه كان حينئذ على وجه البحر ، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق .

ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْد**﴾ [الأنبياء: ٣٤] وحديث ابن عباس : «ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه ، وقد قال ﷺ يوم بدر : «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» فلو كان الخضر موجودًا لم يصح هذا النفي وقال ﷺ : «**رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما**» فلو كان الخضر موجودًا لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب .

وجاء في اجتماعه مع النبي ﷺ حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ سمع وهو في المسجد كلامًا فقال: «يا أنس اذهب إلىٰ هذا القائل فقل له يستغفر لي، فذهب إليه فقال: قل له إن الله فضلك علىٰ الأنبياء بما فضل به رمضان علىٰ الشهور، قال: فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر» إسناده ضعيف.

وروىٰ ابن عساكر من حديث أنس نحوه بإسناد أوهىٰ منه، وروىٰ الدارقطني في «الإفراد» من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعًا: «يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله» الحديث، في إسناده محمد بن أحمد ابن زيد بمعجمة ثم موحدة ساكنة وهو ضعيف.

وروىٰ ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيىٰ عن ابن أبي رواد نحوه وزاد: «ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلىٰ قابل» وهذا معضل.

ورواه أحمد في «الزهد» بإسناد حسن عن ابن أبي رواد

وزاد: «أنهما يصومان رمضان ببيت المقدس» وروى الطبري من طريق عبد الله بن شوذب نحوه.

وروي عن علي أنه: «دخل الطواف فسمع رجلاً يقول: يا من لايشغله سمع عن سمع» الحديث؛ فإذا هو الخضر أخرجه ابن عساكر من وجهين، في كل منهما ضعف، وهو في «المجالسة» من الوجه الثاني.

وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهي الإسناد، منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث أنس: «لما قبض النبي ﷺ دخل رجل فتخطاهم - فذكر الحديث في التعزية - فقال أبو بكر وعلي: هذا الخضر» في إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واه. وروى سيف في الردة نحوه بإسناد آخر مجهول، وروى ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي نحوه، وروى ابن وهب من طريق ابن المنكدر: «أن عمر صلى على جنازة فسمع قائلاً يقول: لا تسبقنا - فذكر القصة - وفيها: أنه دعا للميت، فقال عمر: خذوا الرجل، فتوارى عنهم، فإذا أثر قدمه ذراع، فقال عمر: هذا والله الخضر» في إسناده مجهول مع

انقطاعه وروى أحمد في «الزهد» من طريق مسعر عن معن بن عبد الرحمن عن عون بن عبد الله قال: بينا رجل بمصر في فتنة ابن الزبير مهمومًا إذ لقيه رجل فسأله فأخبره باهتمامه بما فيه الناس من الفتن، فقال: «قل: اللهم سلمني وسلم مني» قال فقالها فسلم قال مسعر: يرون أنه الخضر، وروى يعقوب ابن سفيان في «تاريخه» وأبو عروبة من طريق رباح - بالتحتانية - ابن عبيدة قال: «رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمدًا على يديه فلما انصرف قلت له: من الرجل؟ قال: رأيته؟ قلت: نعم. قال: أحسبك رجلاً صالحًا، ذاك أخي الخضر بشرني أني سأولى وأعدل» لا بأس برجاله ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره، وهذا لا يعارض الحديث الأول في مائة سنة فإن ذلك كان قبل المائة.

وروى ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة قال: أتاني أخ لي من أهل الشام، فقال: اقبل مني هذه الهدية. أن إبراهيم التيمي حدثني قال: كنت جالسًا بفناء الكعبة أذكر الله، فجاءني رجل فسلم علي، فلم أر أحسن وجهًا منه ولا أطيب ريحًا، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا أخوك الخضر.

قال : فعلمه شيئًا إذا فعله رأىٰ النبي ﷺ في المنام . وفي إسناده مجهول وضعيف .

وروىٰ ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح أنه رأىٰ وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ، ثم رآه بعد أن صار شيخًا كبيرًا علىٰ حالته الأولىٰ فنهاه عن ذلك أيضًا ، قال : فالتفت لأكلمه فلم أره ، فوقع في نفسي أنه الخضر .

وروىٰ عمر الجمحي في «فرائده» والفاكهي في «كتاب مكة» بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأىٰ شيخًا كبيرًا يحدث أباه ثم ذهب ، فقال له أبوه : رده علي ، قال : فتطلبته فلم أقدر عليه ، فقال لي أبي : ذاك الخضر .

وروىٰ البيهقي من طريق الحجاج بن قرافصة أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر ، فقام عليهم رجل فنهاهما عن الحلف بالله ووعظهم بموعظة ، فقال ابن عمر لأحدهما : اكتبها منه ، فاستعاده حتىٰ حفظها ثم طلبه فلم يره ، قال : وكانوا يرون أنه الخضر .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قالوا: وكان يكنى أبا العباس ، ويلقب بالخضر ، وكان من أبناء الملوك . ذكره النووي في «تهذيب الأسماء» ، وحكى هو وغيره في كونه باقيًا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية ، وإسناده ضعيف . ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وبقول النبي صلى الله عليه وسلم [يوم بدر] : «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**».

وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، [ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حيًّا لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم] وأصحابه ؛ لأنه ـ عليه السلام ـ كان مبعوثًا إلى جميع الثقلين: الجن والإنس ، وقد قال : «**لو كان موسى وعيسى حيين ما**

وسعهما إلا اتباعي» وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض، إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف، إلى غير ذلك من الدلائل.

س: من قصة موسى مع الخضر يؤخذ أصلٌ وهو ارتكاب أخف الضررين ودرء أعظم المفسدتين، دلِّل على ذلك بأدلة من قصة الخضر ومن غيرها.

ج - أما قصة موسى مع الخضر فمنها ما يلي:

* خرق السفينة لحفظها من الاغتصاب؛ فالخرق ضررٌ واغتصابها ضررٌ أعظم فحتى لا تغتصب السفينة خرقها الخضر.

وأيضًا قتل الغلام لدفع الفتنة - فتنة الكفر عن والديه - فالقتل فيه من إدخال الحزن على الوالدين ما فيه، وتكفير الوالدين فتنة أعظم من حزنهما.

ومن غير قصة موسى مع الخضر مسألة الخلع؛ فَرَدُّ المرأة للصداق فيه ضرر عليها، فإضاعة المال ضرر لكن عدم إقامتها لحدود الله مع زوجها ضرره أعظم، فاختارت

أخف الضررين، وهو افتداء نفسها بِرَدِّ الصداق الذي أخذته وكافتداء صهيب بماله وتركه لأهل الكفر حتى لا يحولوا بينه وبين الهجرة، ولذلك صور كثيرة جداً.

فعلى سبيل المثال: رأيت رجلاً ظالمًا يطارد آخر مظلومًا يريد قتله، وأنت توقن تمام اليقين بذلك، فاختفى عندك المظلوم وجاءك الظالم يسأل: أدخل فلان عندك؟ فإن قلت: دخل عندي فسيدخل ويقتله، وإن قلت: لم يدخل فقد وقعت في الكذب!

فأي الضررين أخف؟ الظاهر - والله أعلم - أن الكذب أخف الضررين، فإن ارتُكِب لدفع القتل عن المقتول ولنصرة الظالم بمنعه من الظلم، فهذا أقرب للتقوى، والله أعلم.

قال السعدي رحمه الله تعالى: في الفوائد المستنبطة من القصة.

ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه: «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعي أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى

يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شرًا منه. وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما، خير من ذلك؛ فلذلك قتله الخضر.

وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر. فتزاحم المصالح والمفاسد كلها، داخل في هذا.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[١]:

وأما من استدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز.

ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسًا كثيرة قبل أن يتعاطى شيئًا من ذلك. وإنما فعل الخضر ذلك لاطّلاع الله تعالى عليه.

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٢٢).

س: ما الحكم فيمن يرفضون أحكام الشريعة ويعملون بما تُمليه عليهم أهواؤهم؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

قال شيخنا الإمام أبو العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، أما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يزاد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم.

وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر؛ فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وقد جاء فيما

ينقلون : استفت قلبك وإن أفتاك المُفتون .

قال شيخنا رضي الله عنه : وهذا القول زندقة وكفر ، يقتل قائله ولا يستتاب ؛ لأنه إنكار ما عُلم من الشرائع ؛ فإن الله تعالى قد أجرى سنته ، وأنفذ حكمته ، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه ، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه ، المبينون شرائعه وأحكامه ؛ اختارهم لذلك ، وخصهم بما هنالك ؛ كما قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى : ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى : ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢١٣]، إلى غير ذلك من الآيات .

وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي ، واليقين الضروري ، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه ، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل ، فمن قال : إن

هناك طريقًا آخر يُعرف بها أمرُه ونهيُهُ غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر، يُقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول.

وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكمة لله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام: «**إن روح القدس نفث في روعي**» الحديث.

س: ما وجه تذكير الله عز وجل نبيه ﷺ بقصة موسى والخضر ؟

ج: وجه ذلك، والله تعالى أعلم، تصبير النبي ﷺ وإخباره بأن مآل الأمور معه ستكون إلى خير - إن شاء الله - وإن حدث في الظاهر ما من شأنه أن يضايقك، وما من

شأنه أن يؤذيك بعض الأذىٰ، إلا أنه دومًا تكون العاقبة للتقوىٰ فَأيْقِن - وإن طردوك ، وإن أخرجوك، وإن آذوك - أن العاقبة للتقوىٰ، فكم من أمور ظواهرها المكروه والشر، ولكنها تحمل للمسلم كل خير، ومن ثَمَّ فلا تضجر أيها الرسول ولا تستعجل، فالله يعلم ونحن لا نعلم، ويقدر ونحن لا نقدر .

- **قال الطبري رحمه الله تعالى:**

وهذه القصص التي أخبر الله عزّ وجلّ نبيه محمد ﷺ بها عن موسىٰ وصاحبه ، تأديب منه له، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزءوا به وبكتابه، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترىٰ الأعين، بما قد يجري مثله أحيانًا لأوليائه ، فإن تأويله صائر بهم إلىٰ أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسىٰ واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسىٰ، إذ لم يكن عالمًا بعواقبها وهي ماضية علىٰ الصحة في الحقيقة

وائلة إلى الصواب في العاقبة، ينبئ عن صحة ذلك قوله: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ [الكهف: ٥٨]، ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه، يعلم نبيه أن تركه جلّ جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم، نظرًا منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم.

س: اذكر مجمل ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث في شأن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام.

ج: مجمل ذلك في حديثين أخرج البخاري ومسلم لفظ واحدٍ منهما، وانفرد مسلم بسياق الآخر وها هما الحديثان:

أخرج البخاري ومسلم [١] من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البِكَالِيَّ يزعم أن موسىٰ عليه السلام صاحب بني إسرائيل ليس هو موسىٰ صاحب الخضر، عليه السلام فقال: كذب عدو الله[٢] سمعت أُبيَّ بن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قام موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلمُ. قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه.**

فأوحىٰ الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين[٣] هو أعلم منك، قال موسىٰ: أي ربِّ! كيفَ لي به؟ فقيل

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٠) ومسلم (حديث ٢٣٨٠).

(٢) (كذب عدو الله) قال العلماء: هو علىٰ وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله. لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة إنما قاله مبالغة في إنكار قوله، لمخالفته قول رسول الله ﷺ وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها.
هذه التعليقات نقلاً عن حاشية مسلم مع محمد فؤاد رحمه الله.

(٣) (بمجمع البحرين) قال القسطلاني: أي ملتقىٰ بحري فارس والروم من جهة الشرق، أو بإفريقية أو طنجة.

له : احمل حوتًا [١] في مكتلٍ [٢] فحيث تفقد [٣] الحوت فهو ثَمَّ [٤] فانطلق وانطلق معه فتاه [٥] وهو يوشع بن نون فحمل موسى - عليه السلام - حوتًا في مكتلٍ، وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة، فرقد موسى عليه السلام و فتاه فاضطرب الحوت في المكتل ، حتى خرج من المكتل، فسقط في البحر ، قال : وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق [٦] فكان للحوت سربًا، وكان لموسى وفتاه عجبًا ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما [٧] ونسي صاحب موسى أن يخبره، فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه : ﴿آتِنَا

---

(١) (حوتا) الحوت السمكة وكانت سمكة مالحة كما صرح به في الرواية الثانية.

(٢) (مكتل) هو القفة والزنبيل.

(٣) (تفقد) أي : يذهب منك ، يقال فقده وافتقده.

(٤) (فهو ثمَّ) أي هناك.

(٥) (فتاه) : أي صاحبه.

(٦) (الطاق) : عقد البناء، وجمعه طيقان وأطواق وهو الأزج وما عقد أعلاه من البناء، وبقي ما تحته خاليًا.

(٧) (وليلتهما) : ضبطوه بنصب ليلتهما وجرّها.

غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢](١) قال ولم ينصب حتى جاوز المكان الذي أمر به. قال: **﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾** [الكهف: ٦٣](٢) قال موسى: **﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾** [الكهف: ٦٤](٣) فارتدا على آثارهما قصصا، قال: يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فرأى رجلاً مسجى (٤) عليه بثوب فسلم عليه موسى فقال له الخضر: أنى بأرضك السلام (٥)، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم

---

(١) (نصبا): النصب التعب.

(٢) (واتخذ سبيله في البحر عجبا): قيل: إن لفظة عجبا يجوز أن تكون من تمام كلام يوشع، وقيل: من كلام موسى. أي قال موسى: عجبت من هذا عجبا، وقيل: من كلام الله تعالى. ومعناه: اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا.

(٣) (نبغ): أي نطلب. معناه: أن الذي جئنا نطلبه هو الموضع الذي نفقد فيه الحوت.

(٤) (مسجى): أي: مغطى.

(٥) (أنَّى بأرضك السلام) أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام؟ قال العلماء: أنى تأتي بمعنى أين ومتى وحيث وكيف.

قال: إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه قال له موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾ [الكهف:٦٦] قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٦٩].

قال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرًا قال: نعم فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلَّماهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نولٍ[1]، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال له موسى: قوم حملونا بغير نولٍ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها. لقد جئت شيئًا إمرًا[2] قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا

(١)(بغير نول) أي: بغير أجر. والنول والنوال العطاء.

(٢)(إمرًا) أي: عظيمًا.

ترهقني من أمري عسراً[١] ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه، فاقتلعه بيده، فقتله فقال موسى: أقتلت نفساً زاكيةً[٢] بغير نفسٍ[٣] لقد جئت شيئًا نكراً[٤] قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: وهذه أشد من الأولى. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً[٥]، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض[٦] فأقامه يقول مائل، قال الخضر بيده

(١) (ولا ترهقني من أمري عسراً): قال الزمخشري: يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه. أي ولا تغشني عسراً من أمري، وهو اتباعه إياه يعني ولا تُعسِّر عليَّ متابعتك ويسرها عليَّ بالإغضاء وترك المناقشة.

(٢) (زاكية): قرئ في السبع زاكية وزكية. قالوا: ومعناه طاهرة من الذنوب.

(٣) (بغير نفس): أي: بغير قصاص لك عليها.

(٤) (نكرًا): النكر هو المنكر.

(٥) (قد بلغت من لدني عذرًا) معناه قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها في فراقي.

(٦) (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) هذا من المجاز لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة ومعناه قرب من الانقضاض وهو السقوط.

هكذا [١] فأقامه . قال له موسىٰ : قومٌ أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا ، لو شئت لاتخذت عليه أجرًا ، قال هذا فراق بيني وبينك . سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا ، قال رسول الله ﷺ : «**يرحم الله موسى لوددتُ أنه كان صبرَ حتى يقصَّ علينا من أخبارهما**» قال : وقال رسول الله ﷺ : «**كانت الأولى من موسى نسيانًا**» قال : «وجاء عصفور حتىٰ وقع علىٰ حرف السفينة ثم نقر في البحر فقال له الخضر : ما نقص علمي وعلمك [٢] من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر» .

قال سعيد بن جبير: وكان يقرأ : (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحةٍ غصبًا) ، وكان يقرأ (وأمَّا الغلام فكان كافرًا) .

---

(١) (قال الخضر بيده هكذا) أي : أشار بيده فأقامه . وهذا تعبير عن الفعل بالقول ، وهو شايع .

(٢) (ما نقص علمي وعلمك) قال العلماء : لفظ النقص هنا ليس علىٰ ظاهره ، وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلىٰ علم الله تعالىٰ كنسبة ما نقره هذا العصفور إلىٰ ماء البحر وهذا علىٰ التقريب إلىٰ الأفهام .
أكرر : هذه التعليقات من تعليقات الشيخ فؤاد علىٰ مسلم مع بعض الاختصار أحيانًا .

وفي رواية لمسلم[1] من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال : قيل لابن عباس : إن نوفًا يزعم أن موسىٰ الذي ذهب يلتمس العلم ليس بموسىٰ بني إسرائيل .

قال : أسمعته يا سعيد؟! قلت : نعم، قال : كذب نوف .

حدثنا أُبَيٌّ بن كعب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إنه بينما موسى عليه السلام ، في قومه يذكرهم بأيام الله. وأيام الله نعماؤه وبلاؤه . إذ قال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيرًا أو أعلم مني. قال فأوحى الله إليه. إني أعلم بالخير منه. أو عند من هو إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك قال :يا رب ! فدلني عليه قال فقيل له: تزود حوتًا مالحًا، فإنه حيث تفقد الحوت قال : فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة فعمي عليه. فانطلق وترك فتاه فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوة [2] قال فقال فتاه: ألا ألحق نبي الله فأخبره؟ قال: فنسي فلما تجاوزا قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، قال ولم يصبهم نصب حتى تجاوزا قال فتذكر قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما**

(١) مسلم (ص١٨٥٠). (٢) الكُوَّة هي الطاقة .

أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجبًا قال : ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصًا فأراه مكان الحوت قال: ههنا وصف لي قال فذهب يلتمس فإذا هو بالخضر مسجى ثوبًا، مستلقيًا على القفا أو قال علي حلاوة القفا (١) قال : السلام عليكم فكشف الثوب عن وجهه قال وعليكم السلام من أنت؟ قال : أنا موسى قال : ومن موسى؟ قال موسى بني إسرائيل قال: مجيءٌ ما جاء بك؟(٢) قال: جئت لتعلمني مما علمت رشدًا قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر قال: ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرًا فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال انتحى عليها (٣) قال له موسى ، عليه السلام: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا؟ قال : لا

---

(١)(على حلاوة القفا) : هي وسط القفا، ومعناه لم يمل إلى أحد جانبيه .

(٢)(مجيء ما جاء بك) : أي أمر عظيم جاء بك .

(٣)(انتحى عليها) : أي : اعتمد على السفينة وقصد خرقها .

تؤاخذني بمانسيت ولا ترهقني من أمري عسرًا.

فانطلقا حتى إذا لقيا غلمـانًا يلعبون قال فانطلق إلى أحدهم بادي الـرأي[١] فقتله فذعر عندهـا موسى ، عليه السلام ، ذعرة منكرة قال: أقتلت نفـسًا زاكية بغير نفس لقد جـئت شيئًا نكرًا» فقال رسول الله ﷺ، عند هذا المكان : «**رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العـجب ولكنه أخذته مـن صاحـبه ذمامة[٢] قال:إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا ، ولو صـبر لرأى العجب»** قـال ـ وكـان إذا ذكـر أحدًا من الأنبيـاء بدأ بنفسـه (رحمـة الله علينا وعلى أخي) كـذا رحـمـة اللـه علينا ـ : «**فانطلقا حتى إذا أتيا أهـل قرية لئامًا فطافا في المجالس فـاستطعما أهلهـا فأبوا أن يضيفـوهما فوجدا فـيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه قـال: لو شئت لاتخذت عليه أجرًا**

---

(١) (بادي الرأي) : بالهـمز وتـركه فـمن همـزه معناه أول الرأي وابتـداؤه أي : انطلق إليه مسارعًا إلى قتله من غير فكر . ومن لـم يهمز فمعناه ظهـر له رأيٌ في قتـله ، من البـداء وهو ظـهـور رأي لـم يكن . قـال القاضي : ويمد البَدَاء ويقصر .

(٢) (أخذته من صاحبه ذمامة) أي : حياء وإشفاق من الذم واللوم .

قـــال: هذا فراق بـيني وبينك وأخذ بثـوبه، قال : سأنـبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبـرًا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر - إلى آخر الآية - فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقـة فتجاوزها فـأصلحوها بخشبـة وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرًا وكان أبواه قد عطفا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفرًا (١) فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاةً وأقرب رُحمًا (٢) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته - إلى آخر الآية - » .

❊ ❊ ❊

(١) (أرهقهما طغيانًاوكفرًا) : أي حملهما عليهما وألحقهما بهما . والمراد بالطغيان ، هنا ، الزيادة في الضلال .

(٢) (خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا) : قيل : المراد بالزكاة الإسلام وقيل الصلاح وأما الرحم فقيل معناه الرحمة لوالديه وبرُّهما وقيل المراد يرحمانه .

الخاتمة

تمت هذه الرسالة بعون الله وتوفيقه وما كان فيها من صواب فمن الله عزَّ وجل وحده فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وما كان فيها من زلل وخطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله وأتوب إليه منه والحمد لله في الأولىٰ والآخرة .

وصلوات ربي وسلامه علىٰ نبيه محمد وآله وصحبه وسائر رسل الله وأنبيائه الكرام .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلبايه

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

فهرست الموضوعات